يحياوي الطاهر

البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري

المؤسسة الوطنية للكتاب



يحياوي الطّاهر

البعد الفنّي والفِكري عِندَ الشّاعِر

مُصطفى الغماري

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

رقم النشر 82/1317

بســـم اللـه الرحمن الرحيـم

تقـديم بقلـم :
الدكتور حامد حفني داود أستاذ
الأدب العربي ومناهج البحث
في جامعة الجزائر

يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن الشاعر محمد مصطفى الغماري ، وهو من شعراء الشباب المرموقين في الجزائر ومكانة الغماري هنا لا تنحصر في معاصرته ، فكم من معاصر بعيد عن عصره فنيا ، وكم من بعيد عن عصرنا معاصر لنا في فنه ، ومكانة ــ الغماري ــ أيضا ــ لا تتحدد بمواهبه الذاتية في مجال الشعر ، ولا تكاد تقف عند حدود الالتزام . بحاجات المجتمع المتطور ، ولا عند كونه من كوكبة الشعراء الهادفين بالفن ،،، وانما لسمة خطيرة تجمع هذه السمات كلها في بوتقة واحدة هي «الأصالة» .

والغماري على الرغم من كونه من شعراء الجيل المعاصر يتمتع بشاعرية متدفقة تعتبر «الأصالة الفنية» أخص سماتها وفي شخصيته تتعانق السمات الأصيلة عند الشاعر العربي الملتزم بأصول العربية وآدابها في وضوح الرؤيا شكلا ومضمونا ،، مع العناية بحتميات الفن المعاصر المعبر عن ضرورات العصر ومتطلباته . وهو فوق هذا وذاك يجمع في منهجه الشعري بين سمات الشاعر المعاصر وأصالة الشاعر الاسلامي .

وفي هذا المنطلق الذي جمع فيه الغماري بين المعاصرة الهادفة والأصالة الاسلامية ، اكتسى شعره بالكثير من عوامل القوة والبقاء ، ذلك لأن الشعر النوعي الذي يلتزم فيه صاحبه بمذهب معين من مذاهب الشعر — لايتعداه في الأصول والأسلوب — لا يكون له من عوامل البقاء الا لفترة معينة يصبح بعدها في ذمة التاريخ ،، أما هذا الشعر الأصيل الذي يجمع فيه الشاعر بين الأصالة القديمة والتجربة المعاصرة فانه يدخل في عداد الفن المطلق القابل للنماء والتطور والبقاء ، فهو لايقتصر على جيل دون جيل . وشاعرية الغماري تدين أكثر ماتدين الى هذين العاملين اللذين أكتسباها هذا النماء .

ووقوف الشاعر في مفترق الطرق بين مذاهب الشعر المعاصر أكسبه الدفقة الفنية غير المقيدة بالحدود والقيود ، كما أكسبه البعد عن المزالق والمنعطفات والمنعرجات المتطرفة التي وقع فيها الشعراء فأودت بالكثير من شاعريتهم . ومن الممكن أن نضيف الى هذين العاملين عاملا ثالثا يمثل جوهر الأصالة هو إلتزام الغماري بالقيم التي جاء بها الاسلام المتمثلة في مبادئه الثلاثة : العدالة والإخاء والحرية ... وهذا التمسك بهذه المبادئ لا يتعارض في شعر الغماري مع القيم الجمالية الثلاثة : الجمال والحق والخير ، الأمر الذي سنتحدث عن بعض جوانبه التي عالجها الشاعر ، وتحدث عنها الكاتب .

أما كاتب هذا البحث فهو تلميذنا الأديب الطاهر يحياوي ، كان أول عهدي باكتشاف موهبته في النقد ، وحبه للأدب من خلال محاضراتي في جامعة الجزائر ، تلك التي لأزال ألقيها على تلاميذى في الأدب العباسي ، وقد سرني منه ميله إلى البحث والمناقشة وقدرته على تصيد الرؤيا الصحيحة ، ومحاوراته أياي حول مايسمع من قضايا الأدب . وأذكر أني كنت أتحدث عن تبادل الأثر بين الحضارة الاسلامية الأصيلة والحضارتين الدخيلتين الفارسية واليونانية ، وذلك من خلال حديثي عن الأقاليم الشرقية التي تأثرت بالحضارتين الدخيلتين تأثرا مباشرا ، والأقاليم الغربية في العالم الاسلامي التي كان حظها ضئيلا من هاتين الحضارتين . فكان مما وجهه الي من تساؤلات يدور حول الفرق بين هذين النوعين من الأقاليم . كما لفت نظره ما أثرته أمام تلاميذي من نظرية الأثر والمؤثر والمتأثر الأمر الذي جعلني أطمئن كثيرا أن البذرة التي ألقيتها بالأمس صادفت تربة خصبة فآتت أكلها في وقت مبكر ، وأن هناك استعدادا كبيرا يمكننا إتماسه وابرازه في كثير من تلاميذنا المطلعين على التراث الاسلامي والأدب العربي ..

وهاهو الطاهر يحياوي يتقدم اليوم على أمر عظيم خليق أن يقوم به الناقد الحصيف قبل الناشيء الموهوب . ووظيفة النقد — كما نعلم — أجل كثيرا من وظيفة الأديب ، ذلك لأن الأدب ابتكار وخلق وابداع والنقد مسؤولية كبيرة لايقوى على تحمل مسؤوليتها الا من جمع بين سمات الأديب المنشيء وسمات الناقد المتدبر للمنهج الفني فيما يقرأ أو يكتب ..

ولايهولن القاريء ـــ مده الاسعر ـــ ان يصدر ذلك من طالب علم لايزال في مستهل حياته الجامعية فالاستعداد كثيرا مايفعل العجائب اذا وجدت التربة الصالحة والتوجيه السليم والمكتبة الثرية التي تمده بالمراجع والكتب فيما يكتب أو ينقد أو يحرر .

وقد أثبت تلميذنا الطاهر أنه جدير بممارسته التجربة في النقد والتحليل في كتابه «البعد الفني والفكري عند الشاعر محمد مصطفى الغماري» . وقد صدق المثل الدارج (ان الكتاب يقرأ من عنوانه) ذلك لأن الكاتب ـــ هنا ـــ تجلت معالم التوفيق في كل فقرة من بحثه ، من حيث تحليل منهج الغماري وشاعريته في العنوان نفسه فان العنوان بلاشك يومي الى كل محتويات كتابه ، ويدل العنوان في صياغته على أن لافرق يذكر بين التوفيق في صوغ العنوان والتوفيق فيما أحرزه من نجح في المضمون والمحتوى .

تناول الطاهر في غضون كتابه قضايا لها خطرها الكبير في دراسة الشعراء المعاصرين ـــ ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين ـــ وان من أبرز ماتعرض له في تحليل شاعرية الغماري هو : قيم الشعر الثلاث : الذاتية والواقعية ، واللغة الشعرية ، والتراكيب الشعرية كما تطرق به الحديث عن الصورة الشعرية ، وعن الخيال ، والانسيابية ، وطول النفس ، كما تعرض لموقف الغماري من الفكر المادي ، ومن الأمة العربية ، والفلسفة الصوفية ، وموقفه الاسلامي ، وأبعاده الفكرية حتى انتهى الى خلاصة الخلاصات في شاعريته .

وقد نجح مؤلف الكتاب فيما قدم من ارضية البحث وفيما عرضه من الحياة التاريخية للشعر الجزائري والمراحل التي مر بها قبل الثورة وفي أثنائها وبعد الاستقلال ، وقد ائتنس الباحث في عرضه هذا بآراء الدكتور أبي القاسم سعد الله، كما وفق فيما عناه من تحديد الاطار الذي التزم به في دراسة شاعرية الغماري حين وضع لذلك جدولا احصائيا تاريخيا للقصائد التي تناولها بالتحليل والنقد ، وكذلك حين تحدث عن الرؤي المختلفة لمفهوم الشعر واتجاهات الشعراء ، هذه الاتجاهات التي أوجزها في ثلاثة أنماط هي :

1 » الاتجاه القائم على تقديس المضمون ليس الا .
2 » الاتجاه القائم على تقديس الخيالات الضبابية اللامتناهية والتي لا تمثل تجربة هادفة .
3 » الاتجاه الذي يسلك الجادة بين الاتجاهين المتطرفين .

وقد حقق الباحث نجاحا في تحديد ذلك كله حين اشترط في الاتجاه الصحيح أن يجمع الشاعر بين أنواع ثلاثة من القيم الشعرية هي :

1 » القيم الشعورية .
2 » القيم التعبيرية .
3 » القيم الفكرية .

ولاشك أن هذه القيم الشعرية الثلاث التي ارتئاها الباحث

الصاعد الطاهر يحياوي جيدة لا يعارضها ناقد معاصر . وقد أدرك الباحث في تتبع هذه القيم أنها متكاملة ، وهي وجوه ثلاثة لشيء واحد هو العمل الفني . وقد صدق الباحث في هذا التصور . وهي بلاشك تعتبر — في نظرنا — كالأضلاع الثلاثة للمثلث ، وكما أن المثلث لايمكن تصور شكله الا بالأضلاع الثلاثة فان العمل الفني والتجربة الفنية لا تكتمل الا بهذه القيم الثلاث ..

ثم تناول الباحث قضية من أخطر قضايا الشعر المعاصر الملتزم ، ونفى بها مايعنيه الشباب المعاصر من الشعراء ، الا وهي الاتجاه الاشتراكي الواقعي . ولاشك أن الالتزام بقضايا المجتمع ، ومحاولة حلها عن طريق معطيات الشعر شيء لاينكره انسان يقدس المعاني الانسانية والعدالة الاجتماعية فضلا عن الناقد ، ولكن الأمر يصبح عملا مضادا اذا مانظرنا الى هذا الاتجاه نظرة متطرفة ، وقصد بها شباب الشعر المعاصر طمس القيم الموروثة بكل أبعادها ، أو بمعنى آخر استبدال الواقع المعاش بواقع آخر متطرف قد ينتهي بالمجتمع الى الهاوية . أقول : وهنا يكمن الفرق بين الاتجاه الاشتراكي الواقعي المعتدل والاتجاه الاشتراكي الواقعي المتطرف ، وهو الذي حذر منه الباحث في كتابه هذا . وشتان مابين المعتدل المقبول والمتطرف الذي يراد به الدوس على المقدسات . وقد استند الباحث في تدعيم هذه الرؤية بما جاء في كتاب النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال ..

وخلص البحث من هذا التحليل الى ابطال النظرية المادية البحتة المتطرفة التي دعا اليها شعراء الاتجاه الاشتراكي الواقعي المتطرف في الوطن العربي ، وهم الذين فصلوا ما بينهم وبين القيم الروحية الدينية الانسانية التي ورثناها عن اسلافنا من حضارة الاسلام وتراثه الفكري المعتدل ، وقد حاول الباحث بشتى الطرق تدعيم هذه النظرة المعتدلة ، ولم يكن هدف الباحث من هذا التفسير الا اثبات الرؤيا الصحيحة التي امتاز بها الغماري من بين الشعراء المعاصرين .

وكذلك وفق الباحث حين قام بدور الناقد المدقق في دفاعه عن الغماري فيما اتهمه به بعض النقاد بعنصر «الضبابية» في شعره . ونحن نوافق الباحث على نفي هذا الاتهام واستئصال هذه التهمة من جذورها . ونرى أن ما يزعمونه من ضبابية يناقض دفاعهم عن مدرسة الشعر الجديد . وفوق ذلك فان هذه الضبابية التي زعمها له البعض ليست في نظرنا الا ضربا من التداخل الفني بين مكونات القيم الجمالية . فالفن في نظرنا لا يقبل الفواصل والحواجز بين اجزاء العمل الفني ، فلا مناص من هذا التداخل الذي زعمه البعض ضربا من الضبابية ..

وقريب من هذا ما تناوله الباحث من حديث حول «قضية الصورة الشعرية» ، فالصورة الشعرية في نظرنا جماع التداخل الفني وحبكه في اطار واحد يعكس تجربة الشاعر ومعاناته

النفسية الفنية . وليست الصورة الفنية» كما يزعم الكلاسيكون من نقدة الشعر تقف عند حدود التشبيه والاستعارة مهما بلغا من روعة وخلابة ، لأن الصورة الفنية هي مجموع ذلك كله ، وهي أشمل بكثير من هذه الجزئيات التي رآها البلاغيون وقعّدوها في كتبهم ...

وما يقال عن الضبابية المزعومة والصورة الشعرية يقال عن «الانسيابية» فان هذه الثلاث سمات لقضية واحدة ، ووجوه متقابلة لشكل واحد ، وأعني بها سمة الالتحام في العمل الفني .. فالعمل الفني في نظرنا كل متكامل وجوهر واحد يأخذ بعض بحجز البعض ،، ولا يمكن الفصل بين هذه الزوايا النقدية لأنها ـــ على حد تعبيرنا ـــ تنبع من معين واحد ، وهو ما أسميه «الدفقة الشعرية» ، وهي التي تنعكس من نفس الشاعر بعد اكتمال التجربة وطول المعاناة . ولعل ما أحرزه الغماري الشاعر في الجمع بين القديم الأصيل والجديد البراق في شعره يدين أكثر مايدين لشيء واحد هو عموم الرؤية الفنية ..

والحق أن هناك مجالين أضرا بالشعر المعاصر ، وهذان المجالان نبعا من واد واحد وفلسفة واحدة هي فلسفة التطرف في الرؤيا الفنية ..

المجال الأول : الاغراق في الذاتية ، وقد ترتب على هذا الاغراق المذهب البرناسي «مذهب الفن للفن» في أواخر القرن التاسع عشر وقد كان من رواده تيوفيل جوتييه ، وكونت دي ليل في فرنسا .. ولم يكن لهذا المذهب أصداء تستحق الذكر في شرقنا العربي عند شعراء الشباب المعاصر أو الجيل الماضي الاشعاب محدودة تتأرجح بين الخصائص الذاتية والخطوط الرومانسية عند جماعة الديوان ، ولاسيما عبد الرحمن شكري . وذلك أمر لايعنينا توضيحه في هذا التقديم ..

المجال الثاني : الاغراق في مفهوم الالتزام نحو المجتمع : وذلك هو الجناح الثاني من التطرف عند الشعراء المعاصرين الأمر الذي لمّح له النقاد المعاصرون وعابوا عليه الكثيرين من شعراء الواقعية الاشتراكية .

ونحن لا نعني في هذا المجال الشعر الملتزم ، انما نعني الشعر المتطرف في مفاهيم الالتزام ، وهو الذي أخذه الناقد من قول الدكتور محمد غنيمي هلال : «قد اتخذ الشعراء موقفا يتفق وحريتهم في الخلق والابداع ولكن في داخل قفص النفعية والالتزام ، فصارت أجنحتهم مراوح ، وارتبط خيالهم بملابسات المجتمع والمادية التاريخية» .

والشعر قديمه وحديثه في نظرنا لايستقيم عوده الا اذا جمع بين هذين المتنافرين في الفن :

1 » الذاتية في غير تطرف يصل بها الى مذهب الفن للفن .

2 » الالتزام في غير تطرف يذهب بعيدا الى أعماق الاطارات الاجتماعية الجامدة والأهداف المادية الزائلة ..

والشعر الأصيل في نظر المنهج العلمي الحديث نبض وحياة ودفقة شعورية يرسلها الشاعر في المجتمع ، فهو تعبير عن المجتمع من منطلق الذات . واذا لم يكن الشعر المعاصر على هذا النحو من التوصيف الذي أوضحناه للقاريء فانه يتحول الى مايشبه المواد التقريرية واللوائح الثابتة الجامدة ، ومن هذا المجال المتصلب الجامد يصير الشعر شيئا لاحياة فيه مهما جنح الشاعر في الخيال وتكلف في العاطفة ، ولترتب على ذلك أن يشبه الشعراء أشبه بالمسامير والتروس المتلاصقة المتساوية في الآلة يصدر كل منهم من نفس الزاوية التي يصدر منها الآخرون ..

ان الفن بعامة والشعر بخاصة ، كما أوضحت في كتابي «تاريخ الأدب الحديث» لايستقيم عوده الا بهذه النسب الفنية بين الشعراء هذه الفروق الفردية . فقضية الشعر المعاصر ستظل في حاجة شديدة الى الجمع بين جناحي الشعر ، وكما أنه لايمكن أن نتصور الحياة النابضة المتحركة النامية بغير جسم وروح فكذلك لايمكننا بحال أن نتصور شعرا معاصرا هادفا لايجمع فيه الشاعر بين الذاتية الفنية والالتزام نحو المجتمع . وهكذا لا يتم الاكتمال الفني مالم نربأ بالشاعر والشعر أن ينحط الى هذا التطرف المقيت في جناحي الشعر ..

ان التطرف المقيت ــ هنا ــ خروج بالفن من دوائره النسبية الى مجال العلم في دوائره المطلقة التي لافرق فيها بين زمان أو مكان ، هذا المجال الذي يصبح فيه الشعراء كتلا بشرية متراصة يفقدون أخص خصائص الفن الشعري فيما نفترضه من فروق فردية بين الشعراء تعكس لنا ملابسات البيئات والأعصر انعكاسا أمينا يكون بمثابة المؤشر الدقيق الذي يرشدنا الى معالم التطور ويضع أيدينا على ماحققه الفن من انجازات ترود الأجيال القادمة الى التقدم المستمر ..

لقد حقق الغماري موقفا معتدلا حين جمع بين أصالة القديم وروعة الجديد . ولعل خير مايفسر لنا قوة شاعريته ــ على الرغم من كونه في مقتبل العمر ــ هو ذلك الانفعال الذي يسبق التجربة وهو انفعال حاد معطاء ، اذ لو لا الانفعال الحاد ماكانت التجربة المعطاءة . ويزيد التجربة عنده جمالا أنها تجمع بين حاجات الذات وحاجات الالتزام . ثم هو يضيف الى ذلك أمرا خطيرا لم يحظ به الكثيرون من شعرائنا المعاصرين ، وأعني بهذا الأمر الغيرة الشديدة على قيم الاسلام . وقد تجلت هذه الغيرة في كل شيء حتى في رثائه لأعلام العلماء ، وهو ــ لاشك ــ رثاء أتى من طريق غير مباشر ، لأنه رثاء لقيم الاسلام في شخص الموتى قبل أن يكون رثاء للمرثي في ذاته ، وان شئت فاقرأ له ديوانه «لن يقتلوك» في رثاء العلامة محمد باقر الصدر ، والقاريء يلتمس مثل هذا النبض الشعرية الجديد في غيرته على الدين ، وثورته على أدعياء النسك ، لأنه يراه نسكا كاذبا لا خير فيه ، وأن لحاهم لحى مستعارة قصد بها التزييف والتغرير بالأبرياء ، يقول متحديا :

سأحرقها بالحق في مقلة الضحى
وتردى خفافيش الظلام انتفاضتي

ان هذا العنصر من التحدى في شعر الغماري أكسبه لونا فنيا يستحق الوقوف عنده ، هذا العنصر هو سر نجحه في منهجه الشعري . ودفقته الشعرية التي ميزته عن الكثيرين من الشعراء المعاصرين ، يقول :

وما أنا الا غصة في حلوقهم
وحشرجة الأقدار في صدر مذنب
وما أنا الا النار تشوي قلوبهم
والا الضحى يرمي بأشلاء غيهب

ومن هذا المنطلق نعتبر الغماري شاعرا من شعراء التحدي من أجل العقيدة ، بالاضافة الى كونه شاعرا من شعراء الاسلام المخلصين لأنه رفض التمذهب بكل مايعادي مبادىء الاسلام وقيمه ، فالاسلام دينه الذي يحياه ويعيش له ، ومذهبه الذي اختاره هو «الاسلامية» لايخرج عنها قيد أنملة ولايكاد يغار الا عليها ، وهو من أجل ذلك يعمل معاوله في هدم كل ماسواه ، ومن هذا المنطلق الأصيل يستحق أن نلقبه بشاعر الاسلام المعاصر ..

الدكتور : حامد حفني داود .



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في الموضوع

تراءى لي الشاعر محمد مصطفى الغماري بعمله الشعري يرسم أبعاد مدرسةٍ شعريةٍ فكريةٍ ، ويسير في خطوات قوية ثابتة نحو أفق شعري رائد مستعينا على ذلك بوضوح رؤيته الفكرية والشعرية وطموحه الوثاب ، ودأبه الجهادي المتواصل يشده الى ذلك حبه الشديد للعقيدة الاسلامية ، مما جعل شعره وقفاً عليها ، هذا الحب القوي ، بل هذا الايمان الوطيد الذي تملَّك نفسه حتى لم يعد هناك فصل واضح بين الذات والموضوع ، فكان بذلك شاعر الجهاد الاسلامي .

تراءى لي كل ذلك ، وأنا أتابع إنتاجه مما دفعني أن أقدم على هذا الجهد المتواضع والذي حاولت فيه قدر المستطاع ، ابراز هذه الجوانب في شعره ، وأعترف قبل كل شيء أن هذا غير كاف ، فهناك جوانب أخرى هامة ومتعددة تستحق أن يُلتفت اليها في شعره ولي وطيد الأمل أن أتناول بعضها في غير هذا البحث وأعتذر للقاريء الكريم بحسن النية ، والله من وراء القصد ، وهو المستعان .

الطاهر يحياوي

في 1981/08/10

نـظرة عـابرة

ان الظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر في ليل استعمارها الطويل جديرة بأن تؤخرها عن مواكبة ركب الحياة طويلا ، وأن تترك آثاراً قاسية ومؤلمة ، مما أحدث جروحاً رهيبة في قلب هذا الوطن الحبيب ، وهذا الشعب العزيز ، تلك الجروح التي عانى منها الشعب الجزائري على الصعيدين المادي والمعنوي ، ولازال يعاني منها حتى وقتنا الحاضر ، وخاصة على المستوى المعنوي ....

وكان من آثار ذلك الماضي الأليم أن هذا الشعب العظيم كاد لاينبغ منه غير قلة قليلة ، وتلك هي التي شقت طريقها وسط الزعازع في صعوبة لاتنكر وشدة لاتخفى ، وأستطاعت أن تتحدى ذلك الألم وتلك المرارة في صولة تحدٍّ صارمة وثورة عزم حازمة ،، إنطبعت في آثارهم الفكرية والأدبية تطلعا الى المثل العليا والقيم الخالدة ، وطموحا الى آت أفضل وحياة أقوم ، وتلك هي شيم النفوس الأبية لايزيدها الضغط والتحدى غير إيمان ومواجهة واستماتة ومخاطرة ، من أجل كلمة ثابتة ، من أجل مبدإ راسخ أولئك الذين نذكرهم فنعتزُّ بهم لأنهم أوصلوا ماضينا القريب بماضيه البعيدِ ، فأوصلوا حاضرنا بماضينا .....

أولئك المجاهدون الأبطال ، أمثال : ــ الشيخ الامام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ الطيب العقبي ، والشيخ العربي التبسي وغيرهم ، رحمهم الله رحمةً واسعةً .....

أما قبل هذه الكوكبة المجاهدة ، فانه لم يكن من أمر الأدب الجزائري شيء يذكر ، الا بعض الآثار الأدبية ، والتي هي ذات مدلولاتٍ تاريخية واجتماعية أكثر من أي شيء آخر ....

هذا الدكتور الفاضل أبو القاسم سعد الله ، يحدثنا عن المرحلة السابقة لمحمد العيد ، باعتبار أن ظهوره في المجال الشعري صَاحَبَ نهضة أدبية فيقول : «وأول حقيقة .. يجب أن تسجل هو أنه لم يظهر قبله «أي محمد العيد» شاعر متخصص إن صح هذا التعبير فقد كان جميع الذين ينظمون الشعر لم يجعلوا منه صناعة أو فنا يجيدونه .. فاذا ألقينا نظرة على موضوعات هذا الشعر ، وجدناها لاتخرج عن نظم المتون والمسائل الفقهية» ..

ويزيد على ذلك قوله . : «وكانت هذه مرحلة من مراحل الشعر الجزائري قبل محمد العيد وبمطلع القرن العشرين بدأنا نرى في هذا الشعر تحولا فاترا في الموضوعات وعواطف الشعراء» : . ويقول أيضا «أما المرحلة الثالثة فهي هذه التي تزعمها محمد العيد» ...

فاذا تخطينا محاولة التقسيم المرحلي ، التي يشير اليها الدكتور أبو القاسم سعد الله ، والتي هي مجرد محاولة لتنظيم الدراسة ، وجدنا ان الشعر الجزائري قبل محمد العيد ، لم يكن شيئا مذكورا ، وأن المرحلة التي بدأ فيها ازدهار الشعر الجزائري ، انما هي فترة الثلاثينات أو قبلها بقليل من مطلع هذا القرن العشرين ، وتلك هي مرحلة النهضة الدينية والفكرية والأدبية ، التي تزعمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والتي كان لها الفضل الأول والأخير في إحياء الثقافة العربية الاسلامية ، كما أنها شاركت الى حد بعيد في تفجير الثورة الخالدة ....

وبمجيئى الاستقلال كان الفاصل بين عهدين في حياة الشعب الجزائري ... ومرت أعوام الستينات فكانت فترة استعداد ، اذ أن للحياة الجديدة أثرا كبيرا في القلوب وأهمية بالغة في النفوس .

وفعلا أخذ الشعر الجزائري يستيقظ من غفوته ويأخذ طريقه نحو آفاق أكثر إتساعا وعمقا ، وان كان في جله يرتكز على الأسس الثابتة كالقيم الدينية والفكرية الأصيلة ....

وقد أخترت أن أدير هذه المحاولة الدراسية على أحد شعراء هذه المرحلة لأن في هذا محاولة لتحديد بعض آفاق الشعر الجزائري ، ولو اقتصر ذلك على تيار واحد من جملة التيارات المختلفة التي ظهرت أثناء هذه الفترة .....

الشـــاعـــر

مصطفى محمد الغماري ، شاعر جزائري ، وأحد الشعراء الشباب ، بدأت كتاباته الشعرية الجدية تلج الميدان الأدبي في مطلع السبعينات : وقد ظهرت دواوينه تباعا خلال السنوات العشر المنصرمة ، ولازالت تتلاحق بين الحين والآخر .. مما لفت انتباه الكثير من الكتاب الشباب والناقدين منهم على الخصوص ، وانعكس أثر ذلك في كثير من المقالات نشرت في مختلف الصحف والمجلات الوطنية ..

وقد أخترت أن أكتب عنه دون غيره وفي هذا الظرف بالذات لأسباب أجملها فيما يلي :

1) ان دراسة مثل مصطفى محمد الغماري حق على الكاتب الذي يدرك أن رسالة الأدب العظيمة قائمة على الأخذ والعطاء ، وعلى الذي يدرك أيضا أن للنقد رسالة يجب أن يؤديها خالصة لوجه الأدب والحق ...

2) ان مصطفى محمد الغماري ، يمثل في نظري قطبا بارزا من أقطاب القصيدة الخليلية ، كما يعد شعره امتدادا أصيلا للشعر الجزائري ، لايقف عند حدود الاستمرارية الشكلية ، بل اتسم بأنحناءات فنية اتصفت بالعمق والجدية والوضوح ، ذات بعد مركز وغاية هادفة ...

3)وفرة انتاج الشاعر ، فللشاعر مجموعة شعرية هامة.

4)زيادة على هذا كله ، أن دراسة مثل هذا الشاعر هي في حد ذاتها إنارة لآفاق شعر السبعينات ، ذلك أنه حامل راية الأصالة الشعرية في أعمق أعماقها شكلا ومضمونا ، وان كان لايقف عند حد تلك الآفاق الضيقة الفكرية والفنية ، ونخص هذا بالغمارى ، لأننا حين نتحدث عن القصيدة الخليلية ، نحذف من حسابنا شعراء التفعيلة .

فهم يحملون مضامين أخرى ، بعيدة كل البعد عن شعر «الفحول» ، سواء قصدنا بكلمة «المضامين» البعد الفني أو الفكرى ، فلهؤلاء اطار آخر وأبعاد أخرى وأحكام خاصة ، لاتمت بشيء الى القيم الأصيلة ولايهمنا في هذا المجال ــ على الأقل ــ أن تكون بعض المحاولات (التفعيلية) محتفظة بمضمون أصيل ، غير انحرافي ، .

واني أنبه في بداية هذه المحاولة الدراسية ، الى أن شعر مصطفى محمد الغمارى : .... مجال واسع متعدد الجوانب لمن أراد أن يسبر أغواره وأبعاده الفنية والفكرية ، اذ ليس بمقدورى أن أستنفد هذه الطاقات الحيوية الزاخرة بالشعور وجيشان العاطفة ، وتألق الصور ، واشراق الأفكار اشراقاً ــ لعمرك ــ يشيع سحره في جل قصائد الديوان ، مما تجد ــ معه ــ نفسك في جو فياض بديع ، تتناسق فيه الألفاظ وتتسق العبارات وتحتدم الأجراس الموسيقية ، وتتكامل الظلال ، مما يرسم أبعادا وأطيافا سحرية جميلة ، تنساب في اتحاد بارع نحو غاية متحدة ....

وإن هذا لقليل جدا من كثير ستقف عليه بنفسك ــ أيها القاريء الكريم ــ أثناء العرض والتحليل ، وإنه ليعود ــ في رأيي ــ الى طبع عميق سليم ، وسليقة مستقيمة ، وموهبة زاخرة لايجدى معها إجهاد الفكر ولا إلهاب السوط :...

إنتاج الشـاعـر

للشاعر مصطفى محمد الغماري ، انتاج محترم كمية وكيفية خاصة اذا راعينا الظرف الزمني الوجيز ،، الذي استغرقه الشاعر في هذا الانتاج ،، ...

يتمثل هذا الانتاج في دواوين شعرية ،، ظهرت على التوالي ، في أوقات متقاربة جدا ،، مما ينم عن دلالة خاصة بالشاعر ....

وارتأيت أن أعرض هذه الدواوين ، على القاريء الكريم ،، عرضا تصاعديا حسب تواريخ صدورها ،، ثم نذيلها بجداول ايضاحية ،، والله المعين .

أ» المجموعة الأولى :

1» أسرار الغربة طبع عام «1978» .

2» نقش على ذاكرة الزمن «1978»

3» أغنيات الورد والنار «1980»

4» قصائد مجاهدة «مخطوطة». «1983»

5»ألم وثورة «تحت الطبع»

ب» المجموعة الثانية :

1» خضراء تشرق من طهران «طبع»

2» قراءة في زمن الجهاد «طبع»

3» لـــن يقتـلـوك «طبع»

4» عرس في مأتم الحجاج «طبع»

ويبقى أن أنبه الى أني اعتمدت في محاولتي الدراسية هذه ،، على بعض هذه الدواوين : ، وهي :

1» أسرار الغربة

2» نقش على ذاكرة الزمن

3» أغنيات الورد والنار

4» خضراء تشرق من طهران

5» قراءة في زمن الجهاد

6» لن يقتلــوك .

الجداول وأهميتهــا

قد عمدت الى وضع الجداول الآتية : ، قصد الاستعانة بها أثناء هذه المحاولة الدراسية ، وذلك للإستنتاج والإستدلال في بعض الأحكام ، ومن أجل وضع القاريء الكريم حين اللزوم ، أمام حقائق الأرقام والتواريخ ليتسنى له مجال أرحب ،، للمتابعة والمشاركة في الأحكام .....

وإني لأكره أن أسير والقاريء الكريم في طريق كله تعميمات . كما أن الأحكام المسبقة تحيد في جلها عن الحقائق وتتسم بسلبية الذاتية العقيمة والارتجالية السطحية التي كثيرا ما تكون على شكل خواطر ،، تبرز ذاتية أصحابها بقدر ما تغطي على النماذج المدروسة ،، حيث تختلط شخصية الدارس بالمدروس ، إذا لم تغب ملامح هذا الأخير ..

وليس هذا في النقد والدراسة من شيء ،، وليس من البحث والتحليل في شيء ...

وبراعة الكاتب كل البراعة ،، تتجلى في تحري مواطن دراسته واستجلاء خفاياها ، وابراز الملامح الفنية والنفسية للشخصية المدروسة ، وتحطيم العقبات الجسام أمام القاريء ، حتى يملك الوسيلة لفهم الانتاج الفني وصاحبه ...

ولن يتم ذلك بغير حسن الاحاطة ودقه الحقائق واستقصاء الظواهر ، بأمانة مسؤولة ، واحترام واع لكل المنعطفات الفنية والفكرية والنفسية ، فإذا كان ذلك برزت شخصية الشاعر أو الكاتب من وراء ذلك كله لا يقف دونها حجاب ، ولايسترها قناع ، وحسب ذلك من عمل جليل يُقَدَّم وقضية تخدم ...

ـ الجدول الاول (1)

ـ اسمرار الغربة ـ

الرقم	القصيدة	تاريخها	مكانها	عدد ابياتها	عدد مقاطعها
01	ثورة الايمان	1973/08/22	7	37	7
02	هيلانا	1974/07/01	13		6
03	حـــرام	1974/07/02	19		
04	بين قيس وليلى	1974/10/28	23	55	12
05	مسافر في الشوق	1974/11/01	31	24	6
06	عودة الخضر	1974/02/26	35	44	8
07	أزهار الحنين	1974/02/28	41	28	
08	لو قرأت كتابي	1975/10/02	53	50	3
09	إطمئني يا أماه	1974/12/20	49	24	4
10	لن تموت الحقيقة	1975/02/06	53	50	6
11	أقوى من الأيام	1975/03/20	61	23	2
12	معاهد أحبابي	1975/03/22	65	20	3
13	وثيقة شوق الى الحب الواعد	1975/03/22	69	28	2
14	ثورة صوفية	1975/03/28	73		4
15	بين يدي (اقبال)	1975/03/29	79		4
16	نجوى الى (اقبال)		85	38	3
17	معزوفة الالم	1975/04/ 01	91		4
18	سفر في مسافة الشوق	1975/05/21	97	33	10

الرقم	القصيدة	تاريخها	مكانها	عدد ابياتها	عدد مقاطعها
19	مأواك في الغاب	1975/05/21	101	32	4
20	أنا المجنون يا ليلى	1975/05/23	107	29	6
21	رباعيات وتر جريح	1975/06/24	111	40	10
22	مناجاة		115	56	10
23	شكوى	1976/10/31	121		4
28	عندما توقظني الذكرى		143	42	7
29	أغنية اللهب الرحيم	1976/11/21	147		5
30	سراب	1976/02/06	151		8
31	آتون	1976/12/11	159	25	3
32	موال عاشق في ذكرى أبي الكلام أزاد	1977/01/27	163	49	5

الجدول الثاني «نقش على ذاكرة الزمن»....

الرقم	القصيدة	تاريخها	مكانها	ابياتها	مقاطعها
01	صلاة في محراب الزمن الاخضر	من 04/الى 10/01/10/ 1975	90	365	44
02	نقش على ذاكرة الزمن»	1978/01/22	64	114	8
03	كان لي حلم	1978/01/25	74	106	14
04	أشواق حبي	1978/03/08	91	28	7
05	ويقترب اللقاء	1977/10/24	99	28	5
06	آت هو الفجر		107	43	7
07	خضراء تشرق من طهران		115	40	5
08	أهواك يا أوراس	1978/12/20	123	53	5

الجدول الثالث «أغنيات الورد» ....

الرقم	القصيدة	مكانها	تاريخها	ابياتها	مقاطعها
01	لبنان الرافض	09	76/09/28	49	04
02	أغنية الشمس		76/11/05	49	07
03	مرثية الألم والثورة	13	77/03/17	46	06
04	عن الثورة والحب	53	77/05/02		07
05	أواه يا سفرى	54	77/05/24		07
06	الوعد الحق	63	77/07/02	57	07
07	الى ناعيك ياسمراء	75		38	05
08	لا ترهبي الموج	83	77/09/16	23	04
09	براءة الى شهداء الرفض الاسلامي	89	77/09/17	33	04
10	الى شاعر القصر	97		21	03
11	ياقارئي الضوء السخي	103	77/09/19	60	07
12	الى الغرباء	117	77/09/20	33	03
13	أغنية العاشق المجهول	125	77/09/24	53	03
14	أشواك الظلام	137	77/09/24	19	02
15	نجوى مسافر بعيد	141	77/10/13	45	09
16	نجوى العاشق والنار	151	77/11/10		23
17	رفض في مسافة العشق	161	77/11/14	56	14
18	ياوردة النار	167		33	05
19	الى روح الشهيد دلال المغربي	175	78/04/16	38	05
20	الى رائد الفكر	183	79/10/08	32	03
21	رسم على ذاكرة نوفمبر	191		77	16

الجدول الرابع «خضراء تشرق من طهران»

الرقم	القصيدة	تاريخها	مكانها	ابياتها	مقاطعها
01	أنفاس ملتهبة	78/12/03	05	22	06
02	غنيت جرحك	78/12/04	13	47	07
03	أمد اليك الأغاني	78/12/05	23	36	04
04	خضراء تشرق من طهران	78/12/09	30	40	04
05	الحلم، النار	78/12/12	39	27	02
06	ثورة شاعر	78/12/13	45	30	03
07	معاناة		53		
08	ألم حلم	78/12/23	59	23	04
09	حديث الذاكرة	79/01/20	65		
10	أراهن أن الظالمين قبور	79/01/22	73	34	04
11	أهوى صباحك		81	21	08
12	أفغانستان المجاهدة	79/03/18	87	53	07
13	الى روح آية الله مظهرى		107	17	03
14	مسيلمة القرن العشرين		113		
15	حمامتان وبندقية		119		
16	صوت التحدي	79/11/25	125	46	06
17	قدر المسافة ان تسودى		135	90	05
18	تحية الجراح المجاهدة	79/06/17	97	48	05

5 ـــ **قراءة في زمن الجهاد :**

وهي عبارة عن قصيدتين ...

ا) **قراءة في زمن الجهاد :**

وهي قصيدة حرة ، توجد ما بين الصفحة السابعة والثامنة والثلاثين ، بتاريخ 80/01/15 .

ب) **جهاد وغربة :**

وقد بلغت الستين بيتا ، توجد مابين الصفحة الواحدة والأربعين والثالثة والخمسين ، بتاريخ 80/02/15 بلغ عدد مقاطعها ثلاثين مقطعا .

---

6 ـــ **لن يقتلوك :**

ا) **لن يقتلوك :**

وهي قصيدة بلغت احدى وتسعين بيتا ، كتبت بتاريخ 80/04/23 وقد بلغ عدد مقاطعها واحدا وعشرين مقطعا ، توجد مابين الصفحة 09 و 22 .

ب) **الحلم الحاضر :**

بلغت سبعة وخمسين بيتا ، وذلك بتاريخ 80/05/22 ، بلغ عدد مقاطعها الثمانية توجد ما بين الصفحة 25 و32 ...

كلمة لا بد منها

يجدر «بي» وأنا بصدد موضوع كهذا ، أن أحدد الآفاق العامة على الأقل ـــ لوجهتي النظرية لمفهوم الشعر على الخصوص ـــ اذ أن هذه الآفاق هي في الواقع الارضية التي تبنى عليها الاحكام النقدية ، أثناء الدراسة الأدبية لانتاج الشاعر مصطفى محمد الغماري ...

وأعتقد أنه ليس من شأني أن أخوض في المفاهيم النقدية لمختلف المدارس الأدبية ، لأن ذلك من شأنه أن يطوح بنا بعيدا عن جوهر الموضوع ، كما أن هذه الاتجاهات الأدبية المختلفة والواسعة الاطراف قد نالت حظها من الدراسات الجادة والأبحاث الناجحة التي توصلت الى نتائج قيمة في هذا المجال ، وعليه فاني اكتفي من الحديث عنها بالقدر الذي يجلو الوجهة النظرية التي اتبناها في هذه المحاولة الدراسية ....

والواقع أيضا أننا لو أردنا أن نلم بأطراف هذه الاتجاهات في عجالة كهذه لما أمكننا ذلك ، وذلك لتداخل الأمور وتشابكها وللخلفيات الموغلة المتباينة وعليه كذلك ، فاني اجمل القول على سبيل التعميم والاختصار الشديد ...

فمن دعاة تلك الاتجاهات المختلفة من يعتبر الشعر مضمونا فكريا مجردا من ابعاده الفنية ، ونظروا اليه أنه وسيلة الى غاية أخرى تتعداه ، وعلى هذا المنظور ، فان مفهوم الشعر يقتصر على نوع من النظم للأفكار والأحكام العقلية الصرفة ....

وهذه وجهة ظاهرة البطلان على ابسط الاعتبار لسذاجتها وقصور فهمها لمفهوم الشعر ، منذ أن وجد شعر على هذه الأرض ...

ومن هؤلاء من اعتبر الشعر عواطف جامحة لا يقر لها قرار وتهويمات ضبابية ذاهبة في الخيال كل مذهب بلا رجاء ، ضاربة في انحناءات وتعريجات حالمة واهمة ، أغرقت في الوهم والضلال البعيد ، وراء السراب بلا نهاية مقصودة ، أو بداية معلومة ....

وهكذا صار الشعر فقاقع سرابية لا تصدر عن تجربة ووعي ، ولا تحمل مضامين ذات دلالات معينة ، وهذا أيضا وجهة ظاهرة البطلان على ابسط الاعتبار لسلبيتها تجاه الانسان والزمان والمكان ......

الشعر قيم ثلاث

إذا اتضح على الأساس السابق أن الشعر لا يصح أن يكون عواطف جامحة في ضرب من الهستيريا الراجفة ، والتهويمات الضبابية ، ولا يحق أن يكون رصدا فكريا ونظما باردا جافا للأحكام والأفكار . فاننا نقول بمزيد من الجرأة واليقين ، أن هذه الاتجاهات العقيمة ، قد اعلنت بوارها وعدم صلاحيتها وقدرتها على المواكبة والعطاء منذ زمن بعيد ، نقول منذ زمن بعيد ، وعلى الذين يتغنون بها بين الحين والآخر أن يراجعوا أنفسهم ، وإن كنا نقبل عذر هؤلاء وأولئك جميعا ، بحكم أنهم يمثلون ظواهر شاذة وأنماط منحرفة ، ذات اليمين والشمال ، ليتضح البعد الانساني الصحيح الثابت ، بين هذا وهذا أو بين هؤلاء وأولئك ..

فالشعر الذي نقصده ونريده هو قوام بين العقل والعاطفة لا اسراف هنا ولا تقتير هناك ، نعم هو العقل والعاطفة في وئام يحتويهما اطار ملائم هو التعبير الجميل ...

وتفصيل القول :

ان الشعر لا يستغنى عن العواطف والمشاعر والأحاسيس والأخاييل فهذا من أسس العمل الشعري ، والشعر لا يستغنى عن العقل والشعور الواعي ، غير أنه ليس هذا وكفى ، وانما هو أيضا قيم تعبيرية جمالية ، تلعب فيها القافية والوزن دورا جماليا أساسيا ، واذا أردنا تعبيرا أدق وايجازا أوضح ، فان أساس البناء الشعري ، ثلاثة أشياء يطلق عليها «القيم الشعرية» ، وهي :

1) القيم الشعورية.

2) القيم التعبيرية.

3) القيم الفكرية.

وهذه القيم الثلاث ، هي الأسس التي لا بد منها لكل بناء فني شعري ، كيفما كان ومهما كان موضوعه ، وهي زيادة على هذا تأخذ أبعادا ذات أهمية وخطورة أكيدة في البناء الشعري ، لأن الشعر عمل فني متكامل .

تكامل القيم الشعرية :

ان القيم الشعرية ليست ذات أهمية أو فعالية في حد ذاتها ، اذالم تتكامل فيما بينها تكاملا فنيا متداخلا ، الى درجة لا يمكن معها فصل هذه القيم عن بعضها ولو بعض الفصل لأنها تتحد في شبه اندماج وتلاحم وانصهار ، مما يشكل وحدة العمل الشعري في درجة عالية من الاتحاد ...

كما أن أي محاولة لفصل هذه القيم عن بعضها البعض هو تشويه فظيع يلحق بالعمل الشعري ، مهما كانت براعة التحليل ودقته وفنيته ، ذلك أن اللفظ هو رمز للمعنى وأن المعنى روح اللفظ ، وانطلاقا من هذا فإن أي فصل هو عدم للقيمة الأدبية ، وقد اقتصرت في التمثيل على اللفظ تبسيطا للأمر اذ قلما يحتوي اللفظ الواحد على معنى كامل ، زيادة على هذا فان روافد المعنى كثيرة ، اذ تتدخل الظلال والصور والأجراس والايقاعات الى حد بعيد في احتواء الطاقات الشعورية والفكرية ، وقلما توفرت هذه الشروط مجتمعة للفظ واحد ، هذه الدلالات الفنية التي يوفرها الشاعر بفضل اختياره لألفاظه وتنسيقها تنسيقا فنيا موحيا مؤثرا ، وهذا مما يؤكد تداخل القيم الشعورية والفكرية والتعبيرية تداخلا اندماجيا ، يصعب معه فصل هذه القيم الثلاث ، ولكن الأمر يقتضي منا كي نكون على بينة مما نقول ، ابراز مفاهيم هذه القيم ، ونحاول ذلك ولكن على سبيل الايضاح والتجاوز ، ونقف عند الحد الذي يجلوها بعض الاجلاء ....

1) القيم الشعورية :

القيم الشعورية ، هي السمة الخاصة لكل شاعر أو أديب بل هي الطابع الذاتي «الخاص» ، والذي يستحيل ان يشترك فيه اثنان على الاطلاق ، كما أنه يشع في كل عمل فني ، فيغمره بجو شعوري معين ، يجعله متفردا متميزا عن سائر الأجواء الفنية الأخرى ، مما يساعد على

رسم ابعاد وحدود العالم الفني الخاص ، والذي يمتد عبر آفاق خاصة ، وان تشابهت أو تقاربت أحيانا بين شاعرين أو كاتبين ، غير أنه وبكل يقين لا تتطابق ، وذلك لأسباب أهمها أن الملامح النفسية والفنية المنعكسة من فعل البواعث النفسية ، تختلف قهرا من شخص لآخر ، كذلك العوامل التي تتعلق بالتجارب النفسية وأنواعها وأعماقها وأبعادها ومنحنياتها ، فالتجربة النفسية لأي انسان لأي هزة نفسية ، لأي حادث يختلف صداها من نفس لأخرى زيادة على تلك المنعطفات الدقيقة والانفعالات المبهمة المعقدة أحيانا كثيرة ، وسبب هذه الاختلافات يعود أساسا الى اختلاف النفوس وظروف تكوينها «سنة الله في خلقه» ، واذا كان اختلاف النفوس والمشاعر حقيقة خالدة لا سبيل الى نكرانها ، فإن استحالة تطابق التجارب النفسية والاستجابات الشعورية حقيقة مقررة ، لا يمكن تجاهلها كما أن طابع الشعور الأصيل يكمن في العالم الفني الذي يمثل عالما فردا متكاملا لا يتكرر ....

2) القيم التعبيرية :

القيم التعبيرية وهي القيم التي تشتمل على الدلالات التعبيرية للألفاظ والعبارات ، وأجراس الألفاظ وموسيقى العبارات والايقاع المقسم الآتي من القافية والوزن ، علاوة على الظلال والصور الشعرية ، كل هذا في قالب متسق منسق هو الأسلوب . والاسلوب هو الذي يميز طابع الشاعر وعالمه الفني ، لأنه يقوم أساسا على ذوق الشاعر المرهف الحساس وجماليته المتفردة ، التي تضع القالب الشعري الملائم لمشاعره وأفكاره ، والذي يحتضن طاقاته الشعورية ومنازعه النفسية ، التي تبرز الى حيز الوجود بفضل الأسلوب «الشكل» ، فهذا الأسلوب هو أيضا طابع مميز للشاعر الفحل ، لايشترك بين اثنين لأنه خاصية فردية ، وان كنا بعد ذلك لا ننفي التأثر والتشابه الى حد (ما) ذلك أن الشاعر الحق يصدر عن تجربة صادقة ، ومادام كذلك فان التجربة الصادقة تفرض طريقة معينة في التعبير ، وبالتالي تتدخل العوامل النفسية والفكرية والفنية الأخرى ، والتي أشرنا اليها قبل الآن ، ثم لأن التنسيق والتنظيم «الشكلي»

يقوم على ذوق الشاعر وحسه والذوق والحس خاصيتان متفردتان ، ومهما تقاربت الأحاسيس والأذواق فإن دقائق الأغوار تظل بعيدة بين شاعر وآخر ...

وباتحاد القيم التعبيرية والشعورية ، يتشكل المضمون الشعري بالدرجة الأولى ، فالتعبير كما هو معروف وسيلة تبين عن الشعور وطبيعته ، فأهمية التعبير ونوعه ولونه ذات ميزة كبرى في العمل الشعري ، والعناية به هي في الواقع عناية بالشعور أي «المضمون الشعري» ...

....[1]«والشعر لأنه تعبير عن الحالات الفائقة في الحياة يحتاج أكثر من كل فن آخر من الفنون الأدبية الى شدة التطابق والتناسق بين التعبير والحالات الشعورية التي يعبر عنها» ..

3) القيم الفكرية :

قد تبين لنا مما سبق أن الشعر قيم شعورية وتعبيرية أو بتعبير آخر هو التعبير عن تجربة شعورية «نفسية» مر بها الشاعر في وقت «ما» أي أن العملية الشعرية هي أن ينقل لنا الشاعر أحاسيسه ومشاعره التي شعر بها أثناء تلك المعاناة النفسية ، وقد يبدو للمتعجل أن الشعر على هذا المنوال ، هو التعبير عن حالات الخوف والفزع أو الفرح والاطمئنان أو الغضب والثورة ، أو أي شيء من هذا القبيل ، يختص بالحالات النفسية الغامرة المنجلية ، دون أن يكشف غامضا أو يحل معقدا أوينبئ بمجهول ، أي يتوقف عند التعبير عن العواطف الثائرة والمشاعر المحتدمة ، دون أن يزيد للرصيد الانساني شيئا من معلوم الماضي أو المجهول الآتي ..

والواقع أن الشعر إذا كان بالمفهوم الأول ، أي التعبير عن مختلف المشاعر بطريقة جادة وواعية ، هو في الحقيقة يقدم شيئا كثيرا للانسانية ولكنه غير كاف أبدا ، من حيث أن الشعر يعد أسمى الفنون الكتابية على الاطلاق ، وباعتباره يحتوى الحياة ليعبر عنها ، والتعبير عن الحياة ليس فقط رصد حالات شعورية ووجدانية لفترات معينة لا تتسم بالعمق

1) النقد الأدبي ـــ أصوله ومناهجه ـــ ص : 68 ـــ سيد قطب .

والادراك البعيد ، فهو قد يعطينا خبرة عالية بالحياة والانسان ، وذلك حين يكشف لنا عن خبايا نفس «ما» ، عن حقائقها ، عن أغوارها وأدغالها بدقة عميقة ، وصدق نفاذ وذهن وقاد ، وفي حالات مختلفة ، لأن الشعر إذا اكتفى بمثل الحالات الأولى ، فإنه لا يميط لنا اللثام عن هذه النفس كيف تفكر وكيف تشعر وكيف تنظر الى الحياة لأن هذا التفكير وهذا النظر هو جزء من الحياة ، هو جزء من حقيقة الشعور والتعبير ، وإذا ظل الستار مرخيا على هذا البعد الهام ، فإن الشخصية الشاعرة تظل مطموسة المعالم ، إذ هو السبيل الوحيد اليها ، فالشاعر — حقا — ليس ملزما بأن يعطينا نتائج وأفكار جاهزة فهذا ليس من شأنه ، ولكن هذا لا يمنعه أن يعطينا المقدمات والعموميات — عرضا — ، ونحن إذ نقف أمام هذه وتلك توصلنا إلى النتائج ، بفضل الإيحاءات والاشارات والتلميحات التي ينسجها الشاعر حول معانيه وصوره ورموزه ، كما أننا نخطئ أو تغالي دونما شك ، إذا اعتقدنا أن عملية الشعور أو الوجدان تتم بمعزل عن العقل ، ويفوتنا أن الشعور الواعي هو الذي ينظم العمل الشعري ، والا فما الفرق بين هذا والهذيان المحموم الذي يتشكل حينا في السريالية ، وأخرى في الرمزية ، وثالثة — إن شئت — في الرومانتيكية الضبابية الحالمة في اللانهاية ...

فالجانب الفكري بعد ثابت في العمل الشعري ، وأية محاولة تتجاهله هي محاولة فاشلة تؤدي الى تشويه فظيع يلحق بالعمل الشعري ، لأن أساس الرؤية الفنية يرتكز على محور معين وثابت يتمثل في الجانب الفكري ، كما أن انعدام البعد الفكري يؤدي الى انطماس الوعي الشعري والذي هو وعي بالحياة ، والشعر الذي يخرج من دائرته الحياة والوعي بها وبقضايا الانسان والزمان والمكان هو شعر مسف يدور في مساحات فارغة لا رجاء فيه ولا جدوى منه .....

غير أن الجدير بالطرح ها هنا ، هو كيفية التعبير عن هذا البعد الاساسي ضمن العمل الشعري ، والحق أن العمل الشعري وحدة متكاملة متداخلة ، لا يمكن أن يبرز فيها جانب على حساب بقية

الجوانب ، لأن ذلك من شأنه أن يخل بالبناء الشعري كفن تعبيري ، كما أنه لا يمكن أن نضع مقياسا ثابتا نعتمد عليه في تنظيم العملية الشعرية ، وإنما يرجع الى الشعور الواعي والحس الدقيق لملكة الشاعر ، وعلى هذا فإن البعد الفكري يجب أن يكتسي صبغة فنية تدمجه خلال العمل الشعري ضمن الوحدة الفنية ، أي أن القيم الفكرية تنطوي خلال القيم الشعورية والتعبيرية ، فتغمر الظلال والصور والأجراس والإيقاعات والإيحاءات أي مختلف الدلالات الفنية ، كل هذا ، لأن [1] «قوة الشعر تتمثل في الإيحاءات بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردة ..» .

الذاتية والواقعية في الشعر

إن موضوع الذاتية في الشعر قد نال حظا وافرا في الدراسات الأدبية الكثيرة والمختلفة ، وقد تباينت حوله ، الآراء بتباين وجهات النظر الناشئة عن تلك المدارس الأدبية المختلفة ، ولكنها على كثرتها واختلافها ، لم تجمع على نفيها كما لاتكاد تجمع على موقف موحد واضح منها ...

ومن جملة المدارس الأدبية التي كان لها رد فعل عنيف في الوقت الحاضر على الأقل «المدرسة الواقعية» ، وأخصها بالحديث المختصر في هذه العجالة المعجلة ، ولا أخوض في أنواعها الكثيرة ، ومتاهاتها الواسعة الأطراف ، وإنما أقتصر على منظورها العام وموقفها من الشعر وغاياته ، وأكتفي بهذا القدر الذي يقودنا الى وجهة النظر التي نريد التوصل اليها .....

وقد خصصتها بالحديث ـــ دون غيرها ـــ لأسباب كثيرة ، منها أنها دعوة قديمة جديدة ، طرقت مسامعنا هذه الأيام أو قبل هذه الأيام بأيام ، فركضنا إليها بأعلى سرعة ولازلنا نركض ، وقد نتجاوزها فنسقط بصورة سخيفة ، حتى يطرق مسامعنا اعلان جديد ، فنركض أو نزحف ، والراجح أننا نزحف لأننا لن نكون كما كنا !! ....

---

1)في النقد الأدبي الحديث ـــ ص : 376 ـــ الدكتور : محمد غنيمي هلال .

نعم هي قديمة ، وبكل آسف شديد ، أنه لا يكتب لنا شرف هذا الخبر العاجل للإنجاد ، ذلك أنها ظهرت في الأدب الانجليزي قبل أن تظهر في غيره ، ومع الأسف الشديد مرة أخرى ، أن بلاد الانجليز حتى يومنا هذا وحتى بعده ليست اشتراكية ، فالخبر فادح والخسارة مزدوجة ، على الذين يهمهم الأمر ، فالخبر مزدوج الخسارة لأن دأب الواقعيين في كل زمان ومكان التنكر للواقع ودحضه باسم الواقع ، حتى ولو اقتضى الأمر ترويج الشبهات والدعوات الباطلة والا فلماذا التطاول على كل قديم وحاضر واقع ....

والخسارة جسيمة ، لأن بعض شبابنا يلتزمها ويتبناها فكرا وأدبا ، التزاما ودفاعا ، أماما ووراء !! ونسأل الله خير العاقبة وسلامة النهاية !!

وهذا الاتجاه الاشتراكي الواقعي ، يرى على بعد نظره ، أن الشعر هو الحقيقة ودور الشاعر هو اجلاء هذه الحقيقة في صورة تأملات شعرية ، وليس له أن يتصرف في هذه الحقائق بأية طريقة من الطرق ، وليس له أن يضيف لها شيئا أي نقل الحقيقة الاجتماعية كما هي ، بغض النظر على التصرف الفني في حدود معينة ، والشاعر أنما يفعل ذلك في نظرهم ، ليبصر الجمهور ويوقظه من سباته العميق ، وبعد اليقظة الشعبية ، تتحرك الجماهير وتثور ، وبهذا يدفع بالجماهير عن طريق توعيتها الى الثورة على الواقع وتغييره ....

وهكذا يؤدي الشعر — في رأيهم — عملية الدفع من الخلف الى الهاوية ، هاوية الصراع الطبقي ، والذي تلعب فيه طبقة «البروليتاريا» الدور الدموي الأول ، حسب طموحهم ونزواتهم وحينذاك يأتي دور الاعداد للمدينة الفاضلة ، وزوال الدولة ...

جميل هذا !!

وأجمل منه حقا أن يصير الشعراء «هذا اللغط البائد»

كما وصفهم كاتب كبير ، حين قال : «قد اتخذ الشعراء موقفا يتفق وحريتهم في الخلق والابداع ، ولكن في داخل قفص النفعية والإلتزام

فصارت أجنحتهم مراوح ، وارتبط خيالهم بملابسات المجتمع والمادية التاريخية» ....

وبعد فليس يعيب على الشعر أن يتبنى وجهة نظر معينة ، يلتزم بها ويدافع عنها ، وليس يخل بالشعر مطلقا أن يتحول سلاحا قويا في يد الانسان ، يفتح به طريق السعادة والعدالة الاجتماعية التي تزول فيها كل أنواع السيطرة والاستغلال والعبودية ....

ولكن نعوذ بالله ونحتمي به من «أجنحة المراوح القفصية النفعية» ، هذه الاجنحة العجيبة التي نشتاق بحق أن نراها وهي تروح في أقفاصها ، ! نعوذ بالله منها لنا وللشعراء المساكين ، الذين جعلت منهم ملابسة زمنية متذبذبة من ملابسات المادة والصراع الطبقي وضيقت عليهم الأفق حتى لم يعودوا يروا غير سماء قفصية ، وأرضا قفصية ،سماؤها وأرضها الجدلية التاريخية والصراع الطبقي ، والاستهلاك والمستهلكين والطالعين والهابطين ، والمالكين والمملوكين ، والسحرة والمشعوذين و «الزحف على الأقدام» و «سفر الاشارات» و «أكل الأحذية» و «عرس بغل» و «حرسني الظل» و «مفعم بارتكاب المعاصي» ، ونعوذ بالله مرة أخرى من المعاصي ومرتكبيها ، والجهر بها ...

ولم يعودوا يعقلون غير «الورشات الأدبية» و «الخطوط النضالية» ذات الأبعاد التحررية التي يشنها «اللاز» واخوته ، في ميدان التحرير والتنوير والعقلانية ، للذين لا يعقلون ولا يسمعون غير الطاحنات والدارسات والحارثات ، لا حياة الا الاقتصاد ، ولا مثل ولا مباديء غير المنافع والمكاسب الارضية ، وهكذا صار الشعر كما وضحت قبل قليل لغطا بائدا ، يجري وراء النفعية ، كما ذهب الدكتور غنيمي هلال حين

---

1) في النقد الأدبي الحديث ، ص : 485 — الدكتور : غنيمي هلال .

قال وهو يعني هذا الشعر الواقعي الاشتراكي[1] «صار مضمون الشعر هو المصلحة العامة ولكنها نفعية أحلت القيم الاجتماعية محل القيم الفردية المحضة ، فكان الشعر سلاحا من أسلحة العدالة الاجتماعية» ....

وهكذا تتضح — أيها القاريء الكريم — اللاجدوى من اللف والدوران حول البعد الاجتماعي وحده واهمال الابعاد الانسانية الأخرى ، والحياة أرحب وأعظم من أن يحتويها جانب واحد ، والانسان أنبل نفسا وأعمق روحا من أن ينظر اليه كحيوان مادي ، لا هم له غير ملء بطنه ، وتغطية جلده ، كما أن النظر للانسان بهذا المنظار هو مسخ لحقيقته وطبيعته الخالدة ، ومن هنا فإن تجريد الشعر من قيمه الانسانية الثابتة والتعبير عن الانشغالات والاهتمامات المختلفة ، هو أمر شاذ وموقف سطحي ساذج ، لا يؤيده الواقع ولا التاريخ . وتجريد الشعر من محتواه الانساني الراسخ هو افراغ لمحتواه الأصيل ، والذي يتمثل بإيجاز مبين ، في التعبير عن الشعور الانساني ، ولا يعني هذا مطلقا اننا ندعو الى الذاتية والانعزالية المتطرفة ، وانما لابد من ظهور طبع الشاعر وعالمه النفسي والفني وبعده الفكري ،وأثر هذا الاتجاه الفني ، فهو على أبسط الاعتبار انسان يتأثر ويؤثر ، وليس مجرد آلة تطبع وتوزع ، وذاتية الشاعر لن تكون حائلا بينه وبين العالم الخارجي ، لأنه يعيش بئة معينة أثناء موقفه الشعري. والبئة كما هو معلوم ذات سلطة مباشرة لا إرادية ، بحيث تتغلغل أعماق الشاعر ، وتمتزج بمشاعره وأحاسيسه ...

وقد تناول كروتشيه هذه النقطة : فقال :[2](«ان التعبير الذاتي» في الشعر الغنائي موضوعي بطبيعته ، لأن الشاعر يجعل ذاته موضوعية وكأنها يتأملها في مرآة ، فتعبيره ذاتي في نشأته ولكنه موضوعي في عاقبة تعبيره عنه ، وهذا التعبير شخصي في تصوير مشاعر صاحبه ولكن عالمي

---

1) في النقد الأدبي الحديث — ص : 485 : ، الدكتور : غنيمي هلال .

2) نفس المرجع السابق .

في صورته الشعرية ، وهو بذلك محدد ولا محدد معا ، اذ أنه انساني عالمي في نزعته الشعرية ، على أن الشعر لا يفقد ـــ بعد ـــ بذلك مقوماته الشخصية اذ الشاعر فرد في بيئة وموقف معينين) ..

الذاتية طابع وشخصية

إن الذاتية لا تنحصر في المفهوم السلبي الضيق للنظرة الخارجية للكون والحياة ، أو النظرة الداخلية لعالم الشاعر الذاتي ، فإني أعتقد اننا تجاوزنا مثل هذه القضايا الهامشية ، فالخليق بنا أن نتناول الذاتية ، من جانبها الإيجابي في العمل الشعري ، والأدبي على العموم ...

فالذاتية بالدرجة الاولى ، هي طابع الشاعر الاصيل ، وعلامته البارزة الدالة عليه ، اذ هي الطريق الى نفسه ، وعمله الشعري ، فالشاعر الذي لا تميزه بين آلاف الشعراء بأسلوبه وملامحه الفنية والنفسية ، أي بعالمه النفسي والفني ليس شاعرا فحلا ، والشاعر الذي تختلط ملامحه بملامح غيره ، هو أحد إثنين إما نكرة شاردة ، أو تابع مغلوب على أمره ، مجرد من كل مزية من مزايا الشاعرية القوية والشاعر الحق هو نموذج انساني جديد ، فريد في حسه ، فريد في شعوره ، فريد في عالمه ورؤياه «وطابع الشخصية هو السمة الأولى لكل أديب أصيل وهو لا يقتصر على النظرة الشعورية للكون والحياة بل يتعداها الى طريقة تناول الموضوع «الأسلوب» ..

فليست الذاتية إذن مقصورة على نفسية الشاعر ونظرته الى عالم الحياة ، بل تتعدى ذلك الى الأسلوب وطريقة تناول الموضوع والسير فيه ، فاختيار الشاعر للشكل الفني الذي يخرج فيه مضمونه الشعري ،

هو عمل من صنع ملكته وذوقه ، بل هو جزء من براعته وموهبته ، فالحس والذوق الفني الذي يعتمد عليه الشاعر هو من خاصياته (هو) دون غيره ...

وهذه الذاتية الواعية للحياة والواقع ، التي لا تتصف بالانغلاق والعزلة ، لا تمنع الشاعر بكل تأكيد من أن يتناول ماشاء من أمر هذه الدنيا ، دون استثناء ، متى صار تجربة نفسية ومعاناة وجدانية .

1) النقد الأدبي ــ أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص : 24 .

الذاتية لا تناقض الموضوعية

حقا ان الذاتية لا تناقض الموضوعية ، لأن الموضوع متى صار تجربة عاشها الشاعر وعاناها ، فانه حينذاك انما يصدر عن اقتناع ذاتي ، وبذلك يكون الاتحاد بالموضوع ، فالموضوعية المقصودة هنا موضوعية ذاتية ، والتعبير الشعري على هذا الغرار هو انعكاس لما يجول في خاطر الشاعر ، من توترات نفسية داخلية وصراعات متباينة ، هي في الصميم البواعث الشعرية ، وبهذا وذاك فان [1]«الشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي ، سواء كانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو ، أو عن موقف إنساني عام تمثله» ...

وهكذا نجد الشاعر موضوعيا في الحالين ، وذاتيا في الحالين ولا خلاف بينهما ...

وعلى هذا الأساس فإن [2]«الشعر في معناه الحديث تأمل نفسي تمر فيه التجربة من خلال النفس ويبعث في قارئه — كما يترك في مؤلفه — عواطف ومشاعر وأفكار ، ذاتية في جوهرها يتخذ الشاعر ذاته محورا لها ، لا يعتمد على الحقائق الموضوعية مجردة من عواطفه انما يعد ذاته محورا لها ، فإذا تناول العوالم الخارجية ، أو نظر إلى بئة نظرة شكوى ، فإن هذا العالم ومن فيه وما فيه يتحولون لدى الشاعر الى حالة نفسية» .

---

1) في النقد الأدبي الحديث ، ص : 383 ، الدكتور : محمد غنيمي هلال .

2) نفس المرجع السابق ، ص : 489 — 490 .

وهكذا نجد أن شرط العملية الشعرية ، أن تكون تجربة نفسية عاشها الشاعر ، سواء كانت هذه التجربة ذاتية محضة أو خارجية ، فالشرط الأول والأخير هو معايشتها والتفاعل بها .

اللغة الشعرية

ان القيم الشعورية هي تلك القيم الوجدانية التي تجيش بها نفس الشاعر أثناء مروره بالتجربة النفسية ، وهذه القيم الوجدانية أو الشعورية ، تظل طي العدم ، مالم تحتوها القيم التعبيرية وعليه فان ارتباط القيمتين الشعورية والتعبيرية ، بصفة مباشرة ، ضروري لايمكن فصله ، مادامت القيم الشعورية تنطوي خلال القيم التعبيرية ، فان الوصول الى القيم الشعورية يقتضي المرور بالقيم التعبيرية ...

وشرط العمل الشعري القيم ، تحقيق شكل شعري جميل وملائم ومن هنا فإنا نقرر أن للقيم التعبيرية أهمية معتبرة ، وخطورة أكيدة ، ولايكتمل حديثنا عن القيم التعبيرية ، دون أن نتناول ذلك بنوع من التفصيل ، ونبدأ بالألفاظ :

«الألفاظ نوع من اختزال المعاني يشير الى ما يمكن وروده منها على اللسان»[1] .

فالألفاظ إذن ليست ذات قيمة في حد ذاتها ، وانما هي دليل على المعاني التي تشير اليها ، فقيمة اللفظ في حد ذاته معدومة ، وانما هي في المعنى الذي يتضمنه ، وان كان اللفظ في جله لا ينطوي على معنى كامل ، فاللفظ من هذه الوجهة يكتسب قيمته ومعناه بتكامله مع بقية

---

1) خلاصة اليومية، ص : 120 ، عباس العقاد .

الألفاظ في التركيبة التعبيرية ، كما أن اللفظ كرمز للمعنى غير كاف في الدلالة التعبيرية ، لأن الدلالة اللغوية وحدها قاصرة في كثير من الأحيان عن احتواء الشحنة العاطفية ، فالتعبير الشعري خاصة يتميز عن غيره بقوة الايحاء والايجاز ، واشراق المعاني ، وتناسق الظلال ، وتجاوب الأجراس وتكامل الصور وعليه فإن الألفاظ بمدلولاتها اللغوية فقط عاجزة عن تمثيل المضمون الشعري .....

فا[1]«الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين ، ثم من الايقاع الموسيقي الناشيء من مجموعة ايقاعات الألفاظ متناغما مع بعضها البعض ، ثم من الصور والظلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة» .

كل هذه الخصائص التي يتميز بها انما تظهر وتؤدي وظائفها الفنية على الأعم الأغلب في العبارة النثرية ، أو التركيبة الشعرية . [2]«فخصائص اللفظ كلها تنطبق :على العبارة» ....

ومتى توفرت في اللفظ هذه الدلالات الفنية ، واستوى التركيب اللفظي ، كانت وحدة التطابق بين التعبير والشعور ...

فاللغة الشعرية ليست هي التراكمات اللغوية ، ولاهي عرض للألفاظ الغريبة والاستعمالات الشاذة ، وانما هي التعبير المنسق الجميل ، المناسب للشعور المنبثق عن تجربة شعورية معينة بل هو التعبير المستنفد للطاقات الوجدانية في نسيج محكم يشكل وحدة تعبيرية متلائمة أجراسا وظلالا وصورا وايقاعات ، لأن من شأن الأجراس المتلائمة الألفاظ أن تؤدي الى وحدة جرسية تشكل ايقاعا متكاملا ، هو ايقاع الجملة الشعرية كما أنه من شأن هذه الأجراس والنغمات أن توحي بالمعاني وذلك بالهالات

---

1) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص : 41 ، سيد قطب .

2) نفس المرجع ونفس الصفحة .

الصوتية المبهمة ، والهالات الحسية المحركة للشعور ، كما أن من شأن الظلال والاشعاعات المتقطعة أن تتحد متكاملة لرسم صورة شعرية ..

ومن هذا وذاك جميعا ، نقرر أن اللغة الشعرية ، هي اللغة المعبرة ، أي هي التي تحتوي طاقات شاعرها الوجدانية بحيث تكون وسيلة ناجحة في نقل تجربته ، كما تكون لغة سليمة في بنيانها وراقية في ذوقها فلا تمس الذوق ولا تجرح الحس الفني .. متماشية مع الأصول الأصيلة العربية ....

ولا يشترط في اللغة الشعرية ــ حسب رأيي ــ أن تكون لغة معينة بذاتها ، لأن المسألة ليست مسألة اختيار او تصنيف أو ترصيع ، بل مسألة تعبير عن قضايا ومعاناة ، وهذه القضايا متى كانت تجارب نفسية كان لها الدور الأول في تحديد الشكل الفني ، ويبقى بعد ذلك وقبله عمل الشاعر ودوره في نسج هذا الشكل الفني ، كما أن الشعور الفني الواعي يتدخل في تنظيم عملية البناء الشعري الى حد بعيد ....



اللغة الشعرية قبل مصطفى الغماري

ان نظرة عجلى الى بعض الانتاج الشعري الجزائري قبل الستينات وبعدها بسنوات ، كفيلة بأن تجعلنا ندرك الفارق الكبير بين المرحلتين ، إذ أن الشعر في هذا المجال قد خطا خطوات بارعة ــ لدى البعض ــ اتسمت بصورة خاصة بالمحاولة الجادة لتحقيق مستوى شعري رفيع ، وقد سارت بوعي عميق للأصالة الفكرية ، وبهذا كانت تلك المحاولات لبنات قوية ونافعة ، تشد من بناء الشعر الجزائري .

وإن كان هناك فرق بين شعر المرحلتين ــ سيما ــ على المستوى الشكلي ، غير أن هذا لا يعني مطلقا المفاضلة بينهما ، وانما يفهم منه أن الشعر تطور تطورا ملحوظا ، والذي يهمنا هو جانب اللغة الشعرية ، ولكي يتضح ذلك ، فاني أتعرض لأحد الشعراء السابقين ، ولعلي أكون موفقا اذا اخترت «محمد العيد» باعتباره يمثل رائد تلك النهضة الشعرية التي سبق أن أشرنا اليها وهذه الزعامة على عهدة الكثير من كتابنا ، وعلى رأسهم الدكتور أبو القاسم سعد الله ، بكتابه «محمد العيد رائد الشعر الجزائري الحديث» ....

يقول محمد العيد ، في رثاء الشيخ الفاضل البشير الابراهيمي :

قم بحق الاخـاء وارث حميمـا راحلا مخلص الـولاء صميمـا
صد عنك الذي دنا منك ودا وحنـا عاطفـا علـيك كريما
صد عنك البشير شب جنايا الصـ ـدر نارا وهدهـا تحطيمـا
حم موت البشير فأكتأب الشعب وأصغـى الى النعـي كظيمـا

فهذا شعر فيه صدق قوي ، وعاطفة متقدة ، وفيه سبك وجزالة ، لا تنكران ، وفيه جمال ووضوح وفيه طلاوة رائقة ، وموسيقى دافقة ، ولكنها موسيقى خارجية آتية من «الوزن والقافية» ....

وهذه الألفاظ القوية المسبوكة الواضحة المعاني ، هي في الواقع عارية من الظلال ، خالية من الاشعاعات ، مفتقرة الى الموسيقى الداخلية المتناغمة الآتية من تجاوب أجراس الألفاظ واحتدام ايقاعات العبارات الشعرية ، خالية من الحركية بل من الحيوية الفنية التي تجعل من الجمل الشعرية ، مقاطع طافحة بالحياة ، نابضة بالاشراق مضيئة من حرارة التجربة ، متوهجة لامتلائها بالشحنات الشعورية .

تأمل قوله «قم» و «ارث» و «راحلا» فهل تجد شيئا من الخصائص المذكورة آنفا ، أين الصورة ؟ أين الظلال ؟ أين الحركة ؟ في قوله «حم موت البشير فأكتأب الشعب» أو قوله «صد عنك الذي دنا منك ودا» !! فهذه في الواقع كما ترى ألفاظ مركبة ، تحمل أفكارا معينة أو معان في بعض الأحيان ، سافرة لاتكاد تتوشح بوشاح من الظلال والصور ، ولا تسايرها الأجراس والايقاعات التي تشكل تلك الموسيقى الموحية .

ولاتقف هذه البساطة وهذا السفور عند هذا الحد ، بل تنزل الى مستوى التقريرية والمباشرة .

---

1) ديوان محمد العيد ، ص : 488 .

واستمع اليه حين يقول :

بادل «الصاحب» الأديب نثيرا   مثلما ساجل «الخليل» نظيما

أو حين يقول :

ان قبرا آواك ضم منـــــارا   من ذكاء ماضم عظما رميمـا

أو حين يقول :

كان في العلم رائـدا وإمامـا   ورئـيسا وقائـدا وزعيمـا

الى شبيهات هذه الابيات الكثيرة ، التي تتعرى فيها الألفاظ والتراكيب ، من الظلال والصور ، وتتقدم فيها الأفكار عارية مجردة من أي صبغة فنية ، حتى تسف وتنزل الى مستوى العبارة النثرية في كثير من الأحيان ، وهذه التقريرية ، وهذه البساطة في اللغة رافقت محمد العيد في جل شعره ، ففي قصيدة «يادار» التي نظمها الشاعر حوالي عام 1925م ، وفي مطلع حياته الشعرية ، يقول في مطلعها :

كم تحتويـن على الاضداد يادار   بيض وسد وأخيـار وأشرار

خير وشر فاقـلال واكثـار   العرش والفرش والأحداث بينهمـا

نعسان مسيقـظ والماء والنـار   والليل والصبح والإنسان عندهما

زاهي الضياء وهـذا النجم منهار   والانجم الزهر : هذا النجم مرتفع

فبالرغم من أن الشاعر سيطر على اللغة الى حد بعيد وتحكم في السبك والصياغة الشعرية ، فقد اتسمت هذه الابيات بالمباشرة والتقريرية ....

وقد ترتفع العاطفة ، ويرتفع معها الصدق الاخلاقي والفني ، درجات عالية ومتفاوتة ، حسب الموضوع والمناسبة ، ومع ذلك تظل هذه التقريرية واللغة المباشرة ظاهرة خاصة في شعره ، واستمع اليه في قصيدة «أسطر الكون» ص : 10 ، حيث يقول :

سئمت على شرخ الشباب حياتي   فحرت ولم أملك على ثبـاتي

أرى حظ أرذال النفوس مواتيـا   وحـظ كريم النـفس غير مواتي

أرى الكـون قرآنا من الله منـزلا   على الروح والأحداث آي عظات

وأقـرأ من آي الشقـاوة أسطـــرا   على صفحات الكون مرتسمـات

فلا أحد يقرأ القصيدة ، ولا يحكم لها بصدق المعاناة ، ولا أحد ينكر هذا المستوى الرفيع ، صياغة وسبكا ، وهذه القافية المحكمة ، ولكن لا أحد تسول له أن هذه هي لغة الظلال والايحاءات ، أو هي لغة الأجراس المشعة والصور الموحية ، غير التشبيهات ، و ، و ، و ...

غير أن محمد العيد في بعض رائعاته ، يقترب من للغة الشعرية التي نقصدها ، وإن كان اقترابا جزئيا يخص البيت والشطرة واللفظة ، كما في قصيدة «ياليل» ص : 45 و «دمعة على القمر الخاسف» ص : 34 و «آفة العين» ص : 37 و «أين ليلاي» ص : 41 و«ياهزاري» ص : 49 و «هذه جذوة» و «من الشعر الرمزي» ص : 320 من ديوانه ...

ولكنها بالرغم من ذلك تقف عند حد معين فلا تتعداه ، ولا ترتقي الى مستوى اللغة الشعرية ذات الفنية الراقية ، لغة الأجراس والظلال والاشعاعات والايقاعات والصور بدلالاتها المختلفة المتظافرة على امتداد الشعور والفكر ، واستنفاد الطاقات الوجدانية للتجربة الشعرية .....

غير أن هذا لا يقدح في شاعرية محمد العيد ، فلمحمد العيد حكم آخر ومقياس آخر ، كما أنه ليس من شأني هنا المفاضلة بين محمد العيد والغماري وأن أصدر حكما على محمد العيد ، وانما قصدت التمثيل لمرحلة شعرية معينة ، كما وضحت في بداية حديثي ...

اللغة الشعرية في شعر الغماري

أما اللغة عند الغماري ، فإنها تأخذ منحنيات وأبعادا ذات دلالات فنية مشرقة ، يتحطم فيها جدارا المكان والزمان ، وتسقط فيها العلاقات اللغوية التقليدية كالتشبيهات والاستعارات والكنايات في كثير من مواطنها ...

فليست اللغة لدى الغماري ارتباطا حرفيا قاموسيا ، ولا علاقات ذهنية مجردة ، وانما هي تستمد اشعاعاتها وايحاءاتها من تجربة الشاعر وأصالته ، التي تقوم أساسا على ذوقه الرفيع ، واحساسه العميق ووعيه للكلمات وأبعادها وأبعاد أبعادها ، وتلك ميزة ذات أهمية بالغة ، لأنها روح الأصالة وانعكاس مباشر لها تنطبع في عمل الشاعر ، وتتجسد في أسلوبه وعمله الفني ، فيكون بذلك نموذجا فردا ، ذا طابع متميز وهكذا كان شاعرنا مصطفى محمد الغماري ....

يقول مصطفى الغماري :

وما أنا الا غصة في حلوقهم وحشرجة الأقدار في صدر مذنب

فلفظة «الحشرجة» ، هي أساس بمعنى «الغرغرة» وهو النفس الذي يردده المحتضر .. ولكنها بهذا الاستعمال لدى الشاعر .. يجعل منها أداة طيعة منقادة .. ذلك أن الحشرجة هنا جاءت بمعنى التبكيت وتأنيب الضمير ....

وتفصيل المعنى :

إن الشاعر يظل رافعا صوته بمبدئه ، صارخا في وجه أولئك اللؤماء المرتدين .. فيوخز ضمائرهم .. ويحرك فيهم شعور اللوم والتأنيب .. ويذكرهم كل يوم حقيقتهم فلا يستريحون الى شططهم الضال .. ولا يطمئنون الى انحرافهم وارتدادهم .. وبين اضطرابهم وبلبلتهم .. يظل الشاعر حشرجة وضيقا في صدورهم وقلوبهم .. على حد سواء ...

ولا يخفى علينا بصدد هذا الموقف .. أن الشاعر أزاء موقف معين ثابت ، ومبدإ واضح «الاسلام» فهذه القوة وهذا التأثير إنما يستمده الشاعر من قوة الاسلام ....

الاسلام الذي يظل غصة في حلوقهم وحشرجة في صدورهم الى أبد الآبدين ونهاية الدنيا والدين .. فالعلاقة هنا بين الشاعر والموضوع «موقف» تتحد فيه الذات بالموضوع .. وتتعدى العلاقة النفسية من الذات الى الموضوع .. أي من الداخل الى الخارج .. هذا على الأقل من حيث الناحية الفكرية ....

أما من حيث الجانب الفني في هذا البيت على الخصوص .. فإن هذا الاستعمال البليغ الجميل الموحي .. يجعلك تقف على ظل فني تصويري جميل .. فالحشرجة كما وردت حركة وليست سكونا .. فهذا ظل صورة متحركة .. فيها حياة وحركة .. وان كان ظل صورة نفسية «صورة أناس محرجين قلقين يتنفسون في مشقة وصعوبة» ثم لاحظ هذا التنسيق الجميل .. لكلمتي «حشرجة» و «غصة» ، ثم تأمل هذا التقديم البديهي الرفيع لكلمتي «غصة» على كلمة «حشرجة» .. لأن الصورة النفسية التي يريد الشاعر رسمها تتدرج من أعلى الى أسفل .. الحلق .. الصدر .. وبتقابل الكلمتين .. يتعانق الظلان «الغصة» «الحشرجة» .. فتزداد الصورة النفسية وضوحا ، صورة أناس «غاصين محشرجين» ، وهي صورة لقمة الانهيار النفسي الذي يصيب أولئك المشعوذين الافاكين .

ويقول الشاعر :

وما أنا الا النار تشوي قلوبهم   والا الضحى يرمي بأشلاء غيهب

لاحظ في هذا البيت كلمة «أشلاء» والتي تجمع على «شلو» والشلو كما هو معروف العضو ....

ثم لاحظ مرة أخرى كلمة «الغيهب» وهي تعني «الظلام» والليل .. ومرة أخرى «أشلاء غيهب» مجتمعة ..

ثم لاحظ كلمة «الضحى» والتي تعني وقت الضحى ، أي مابين الشروق والزوال .. وهو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس لترسل أشعتها قوية ، ان المقابلة بين الضحى والغيهب ، لاشك جميلة ، خاصة اذا ربطنا «الضحى» بالفعل «يرمي» و «الليل» بكلمة «أشلاء» فهذه المقابلة الفنية .. ينتج عنها متناظران «الضحى يرمي» و «الليل أشلاء» . مبعثرة ...

والضحى بهذا التوظيف ليس وقتا محددا وكفى .. اليس الضحى هو وقت اشتداد النور والضياء ... وزيادة هو «الضحى يرمي» ، وهذا الليل ليس سوادا وظلاما قاتما بل هو «ذو أعضاء وجسد» ...

نعم هذان متقابلان فيهما روح وحركة ، بل بينهما صراع وتغالب ، فهذا الضحى يهجم هجمة قوية ، فيرمي بأعضاء الليل ، وهذه الحركية آتية من إشعاع الفعل «يرمي» ..

فالنتصور «الضحى» قوة متحركة فاعلة ومؤثرة وهذا الليل قوة مجسدة ولكنها مدحورة مهزومة ...

زد على هذا الاستعمال الجيد لفعل «يرمي» ، فهو استعمال مطلق فيه حرية وطلاقة وايحاء ، فأنت تستطيع أن تغمض عينيك وتتصور هذا «الضحى» يمزق ويفري «أشلاء الليل» ويبددها أو يمزقها أو يحطمها أو يرمي بها في الفضاء أو في أعماق الأرض .. كل ذلك جائز من هذه

التصورات وأنت مفتح العينين أو مغمضهما ، ويبقى وراء ذلك المعنى المقصود .. أو الفكرة التي سبحت الينا مقنعة وملثمة بالظلال والايحاءات والدلالات اللغوية والفنية ..

ويتمثل هذا المضمون الفكري دون التباس أو غموض ، في أن «الضحى» الذي يمثل السفور والقوة والغلبة هو «الاسلام» ، وهو الطرف الأول في المقابلة وهو الذي «يرمي بأشلاء غيهب» أما «الغيهب» المدحور المهزوم ، فهو الضلال والانحراف والردة «ممثلوه» ، واذا توصلنا الى طرفي المقابلة ، ادركنا كيف اجتهد الشاعر ببصيرة واعية وفنية بارعة .. ليبرزها لنا في صورة قشيبة ...

واذا اردنا أن نتجاوز هذا الى الشاعر .. فاننا نجده يتحد بموضوعه اتحادا قويا ...

وما أنا الا النار تشوي قلوبهم والا الضحى يرمي بأشلاء غيهب

فإنك تجد الشاعر يعبر عن نفسه بقوله «وما أنا الا النار» ، ويعبر عن خصومه وأعدائه «تشوي قلوبهم» ، فهذه مقابلة أيضا بين قوتين ، القوة القوية هي الشاعر «النار» ، والقوة المغلوبة هي خصومه «تشوي قلوبهم» فالصورة تكتمل اذا قابلناها على هذا المنوال .. صراع يدور بين الشاعر وخصومه .. وخصام بين «الاسلام» و «الضلال» ونتعدى هذا جميعا لنقول .. ان الشاعر يمثل موقفا في القصيدة .. فهو مرة كما لاحظنا «النار تشوي قلوبهم» وأخرى «الضحى يرمي بأشلاء غيهب» .. وليس الشاعر في هذا وذاك الا مبدأه وخطه الدفاعي .. وليسوا هم في هذا وذاك غير ضلالهم ووهمهم واندحارهم ...

ونخلص من بعض هذا .. الى أن الشاعر يمزج بينه وبين ذاته مزجا لا انفصال فيه .. ويعود هذا أساسا الى معايشته لموضوعه وصدقه في تجربته النفسية ووضوح رؤياه الفكرية ...

ويقول الشاعر مصطفى الغماري :

لحي ... يتصاباهـــا الضلال .. ويبتنــي
وكـــورا بها تنـــزو ريـــاح عداوة
سأحرقهــا بالحق .. في مقلـــة الضحــى
وتـــردي خفافـــيش الظـــلام انتفاضتـــي

فها نحن في نفس القصيدة نتابع بعض مواقفها .. فهو لازال يتابع «أصحاب الغيهب» أولئك الذين تعرفهم بلحاهم الفائضة السائلة أولئك الذين يطلق عليهم الشاعر «خفافيش الظلام» ويتقزز من لحاهم ويريد احراقها بالحق في «مقلة الضحى» ...

سأحرقهـــا بالحق في مقلـــة الضحـــى
وتـــردي خفافـــيش الظـــلام انتفاضتـــي

نلاحظ أولا أن الشاعر صاحب موقف واضح .. فهو يقرر احراق تلك اللحى لأنها على أبسط الاعتبار والتقدير .. رمز لمبدإ يناقض مبدأه .. مناقضة تامة ...

نلاحظ ثانيا أن الشاعر ذو ثقة كاملة من أنه على صواب .. وغيره هم الذين على خطأ .. فهو يحرقها لا جورا وتعسفا ولكن بالحق .

نلاحظ ثالثا أن الشاعر شجاع صريح .. واضح في آرائه ومواقفه ،.. لأنه قوي بمبدئه جريء بإيمانه .. فهو يحرقها في مقلة الضحى ..

نلاحظ رابعا .. أن الشاعر ذو روح متعال .. فهو يحتقر خصومه .. لجبنهم ، فهم لا يظهرون الاخفاء .. فيشبههم لذلك بـ «الخفافيش» فهي لا تظهر الا في الليل ...

غير أن الشاعر ــ للأسف ــ سها حين قال «وتردى خفافيش الظلام انتفاضي» فانتفاضة من انتفاضات الشاعر خليقة بأن تردى الصم الصلاب .. ولا تقتصر على خفافيش أمثال هؤلاء ....

ويعتذر للشاعر أنه جارى شعور التوتر والغضب .. واحتدمت به عواطف الثورة والجموح .. وانغمر فلم يستيقظ في هذه اللحظات الخاطفة .....

ونعود بعد هذا كله الى الناحية الفنية .. فنقف قليلا عند «مقلة الضحى» .. والمقلة لغة تعني العين أو وسطها .. فلو استبدلناها بمرادفها وقلنا مثلا «عين الضحى» أي في عين الضحى .. قد نفهم منه «أمام الضحى» وأمام الضحى ووسطه شيء واحد .. وليس مهما أن يكون أمام النور أو وسطه أو فوقه .. وإنما المهم هو الدلالة اللاحقة من وراء ذلك .. فالمقصود هنا «في النهار» حيث تكثر الرؤية والمشاهدة .. أي جهارا ودون وجل أو حرج .. لأنه مجزم بضلالهم ...

ويبقى بعد ذلك لسائل عن ماهية الحرق ، فقد يعد ضربا من الوهم والخيال البعيد !! غير أن الحرق هنا تعبير عن ثورة النفس .. كما أنه يعني فضحهم وفضح مقاصدهم وتآمراتهم الحقيرة .. اذ أن هذه هي الوسيلة الناجحة للقضاء عليهم .. أولئك المنحرفون العابثون بقيم الدين الاسلامي .. وهذا هو الحرق الذي لا نبات بعده ولا ثمرا .. وان كنا لا ننتظر سحابا ولا مطرا ...

ويقول الشاعر في قصيد «هيلانا» ص : 13 «أسرار الغربة» :

يلوك الحزن أشواقي .. يئن اليـــأس والضجـــر
يطوحنـــي كما الآمال في جنبـــي ... تنتحـــر
فيـــدميها اللهـــيب المر .. يدميها .. فتنـــتثر

تأمل معي بعض هذه الألفاظ الواردة في هذه الأبيات مثل : ـــ يلوك ـــ يئن ـــ يطوحني ـــ تنتحر ـــ يدميها ـــ تنتثر ـــ ...

1) يلوك :

معناها أصلا ، يمضغ ، يمضغ الأكل أو الشيء . ثم تطورت فصارت تطلق على معنى آخر غير مضغ الأكل .. فصرنا نقول مثلا تلوكه الألسن أو تمضغـــه الألسن ، صار مضغـــة في الأفـــواه .. أي ينـــال

الناس من عرضه وشرفه .. لكن الشاعر يستعملها استعمالا يختلف عن سابقه .. ويبعث فيها روحا جديدا .. تلك مزية من مزايا الشاعر القدير في كل زمان ومكان ...

قال الشاعر «يلوك الحزن أشواقي» .. واللوك أو المضغ كما وضحنا ـ سابقا ـ يعني مضغ الطعام وتفتيته أو مضغ اللحم وتمزيقه .

فهي على أوسع الاحتمالات ، تحمل معاني التفتيت والتمزيق والتقطيع أما في الاستعمال الثاني والذي يعني تمزيق الأعراض .. فهي لا تخلو من التجريح والايلام .. وعلى هذا المعنى الأخير حملها الشاعر معناه وانطلق في بعده .. فالكلمة لدى الشاعر هنا تتعدى العلاقة اللغوية الذهنية .. فنحن نعرف أن الأشواق لا تلاك .. «فهي معاني نفسية» مجردة .. غير أن هذا المعنى جرى مجرى التجسيد والتشخيص ...

فهذه الأشواق يلوكها الحزن .. وتأمل هذا الحزن «الوحشي» الذي يلوك في قوة وشدة .. يلوك الأحزان .. وتأمل هذه الأحزان «الهادئة» التي لا تقاوم ...

وهذه المفردة .. يلوك .. رسمت لنا ظلين :

الظل الأول : ظل هذا الحزن «الشرس المتوحش» الذي يلوك ويمزق دونما رحمة أوشفقة ...

الظل الثاني : ظل هذه الأحزان «المسكينة» التي لاتبدي مقاومة .. وهذا النوع من الظلال يستحسن أن يقال عنه «الظل المزدوج» ...

وقد تختفي العلاقات الفنية والشعورية الداخلية أحيانا .. فيلتبس الأمر على المتعجل .. فلا يرى علاقة بين الجملة الشعرية الأولى «يلوك الحزن أشواقي» و «يئن اليأس والضجر» غير أن هذا الإلتباس سرعان ما يزول .. لأن العلاقة هنا وراء الألفاظ والعبارات .. حيث تكمن في تسلسل المعاني الدقيقة في علاقات خفية ...

أليس الحزن مصدره اليأس ؟! ثم أليس الشوق مبعثه الأمل ؟! فالأمل هنا تقابله «الأشواق» هناك ، فكلما كان يأس .. يكون حزن .. هذا الحزن الذي ينعكس على «الأشواق» «الأمل» ليلوكها ، كي يقتل الأمل .. والشاعر وهو يعي أو لا يعي يذكر بعد الحزن والأشواق اليأس ولكن لا ليرتبط بالمعنى الأول مباشرة وإن كانت لهما علاقة خفية ـــ ولكن ليطوح بالشاعر .. فالحزن واليأس هنا قرينان .. فهذا يلوك الأحزان وهذا يطوح بالشاعر .. وهانحن في تقابل جديد .. الشاعر وأشواقه .. والحزن واليأس .: ويدور الصراع بينهم .. ولكن الشاعز منهزم .. غير أنه انهزم حيث ينبغي له ذلك فانهزامه هنا نجاح .. لأنه خدمة لمبدئه ورسالته ...

فهذه الأشواق إنما هي أشواق الشاعر الى المثل العليا والقيم الخالدة .. فإن اعترف بعجزه عن الوصول اليها .. فان ذلك يعني أنها رسالة عظيمة ، يوجس في نفسه خيفة أن لا يصل إليها ، كما يوحي هذا بقوة الحواجز التي تقف في طريقه «الحزن .. اليأس .. الخ ..» ....

ويلاحظ أن الشعور الواعي أثناء العملية الشعرية ، لدى مصطفى محمد الغماري ، ذو يقظة حادة قوية .. فهو يلعب دورا فعالا في تنظيم العلاقات الداخلية .. الخفية للصور والمعاني ..

ونعود الآن الى الوظائف اللفظية في هذه الأبيات .. فالشاعر يقول «يئن اليأس» .. فلماذا عندما يلوك الحزن الأشواق ، يئن اليأس فما وجه الضرورة في ذلك ؟! وكما هو معرف أن كلمة «يئن» تعني الصوت الضعيف المجهد أثناء الألم الشديد .. فهل هذا الذي يعني الشاعر .. ولوكان ذاك .. لكان مقصود الشاعر ركيكا لا قيمة له .. لأن اليأس معنى نفسي مجرد .. بديهة .. أن لا يتألم عندما تلاك الأشواق .. بل العكس من ذلك يزهر ويزدهر إن صح القول .. اليأس هو قرين الحزن كما وضحنا سابقا ...

غير أن الأنين هنا «رمز» لاستجابة مبهمة تلقائية غير واعية وفي مثل هذا الاستعمال ، تنقطع الصلة بين الكلمة ومعناها الذهني ومعناها المولد .. إنها اللغة التي ينكسر فيها جدار الزمان والمكان ..

وإذا أجملنا المقدمات وفصلنا القول موجزين .. فإن الملاحظ أن المعاني تتناسق داخليا في دقة بارعة .. فالحزن .. يتظافر مع اليأس على الأشواق والآمال .. تلك الآمال التي تنتحر ...

ثم إن هذه الآمال والأشواق ماهي الا التطلعات الطامحة الى القيم الخالدة والمثل الشامخة .. وما هذا الحزن وهذا اليأس غير الحواجز التي ينصبها الواقع الأليم أمام الرؤية المشرقة الطموحة ..

ونحب أن نقف قليلا عند كلمة.«يطوحني» فهذا استعمال جيد وجميل لأنه يطلق المعنى ولا يحده .. فهذه هي «لانهائية الكلمة» ، تأتي في وقتها المناسب الذي لا يخل بالمعنى ولا يضحي بالصورة ، بل ولا يوغل بها لتصير متاهة ضائعة لاتوقفك عند معلم .. ولا تحلق في بعد واضح .. وهذه هي اللانهاية الواعية .. التي تزيد من جمال المعنى ورحابة الفكرة وانطلاق الخيال .. وهي التي يأخذ فيها اللفظ تشكيلات صورية موحية طليقة ، وتأمل قول الشاعر :

فيـدميها اللهـيب المر .. يدميها .. فتنـتـثر

فإنك دونما شك تدرك أن اللهيب يتصف بالمرارة هنا .. وان هذا اللهيب «المر» يجرح ويدمي .. والآمال التي كانت تجرح .. صارت تنتثر .. فهل لنا أن نقول للشاعر أن اللهيب يتصف بالحرارة وليس بالمرارة ؟! .. وأن اللهيب يحرق ولا يدمي ، وأن هذه الآمال تزول ولا تنتحر ؟! .. اعتقد أنه ليس من حقنا ذلك .. لأن الألفاظ عند الغماري .. طاقات وجدانية يفجرها في المواقف المناسبة لها .. فالوسيلة بين

المعنى واللفظ تسقط في كثير من الأحيان .. فهو يوظف اللغة توظيفا شعوريا حسب التجربة النفسية ، ويحسب حساب الطاقة الوجدانية التي يشحنها للفظ ..

فاللهيب هنا لو شئنا أن نتجاوز الألفاظ الى ما ورائها .. فهو رمز الصعوبات والعراقيل والحواجز .. فهي التي ترمي بالشاعر الى الضياع واللاجدوى .. «يطوحني» ، والاستنتاج منطقي جدا .. فاللهيب .. يأتي بعد الحزن القاتل واليأس المضني ...

وبعد انتحار الآمال ماذا يبقى للشاعر ؟! .. اللهيب .. الضياع .. وقد عودنا الشاعر على مثل هذا التسلسل الداخلي .. فالضياع .. أو اللهيب «يدمي» «الآمال» .. هذه الآمال الحية حياة الروح والجسد لتنتثر فيما بعد .. انها أوراق أو ما يشبهها .. لأنها احترقت .. وبانتثارها وانعدامها نهائيا تكتمل الصورة «صورة الضياع» ...

ويقول الشاعر في قصيد «رباعيات وترجيع» .. ص : 111 «أسرار الغربة» ...

وأعصر يا أغــاني الضوء .. أشرب نار الآمي
وتيبس في دمي رؤيــاي تصلب في أحلامــي
وتنـبت غربـة وحشيـة تغتـال أنسامــي
وكم غنت على ظمـإ بنـار الحرف أيامــي

لاحظ قول الشاعر : «تيبس في دمي رؤياي» .. فكلمة الرؤي هنا تأخذ معنى الآمال والطموحات والبواعث .. هذه البواعث والطموحات التي تدفع بالشاعر الى الاندفاع و الطموح .. لكن رؤي الشاعر تقحط وتجف .. لأنها تفقد الأحلام .. وأراد الشاعر أن يعبر عن قمة قحطها وجفافها فلم يجد خيرا من «تيبس» ولو استعمل غيرها كـ «تذوي» مثلا لعجزت عن أداء المعنى المراد وعجزت من ثمة عن رسم هذا الظل «جمود الآمال ويبسها في نفس الشاعر» وأضاف بعدها ، «تصلب في أحلامي» لاستكمال الصورة الشعرية ، انها تيبس ، ولا تيبس من تلقاء

نفسها .. فقد يدل ذلك على ضعفها أو عدم صلاحيتها .. ولكنها تصلب فتيبس ، والفعل «تصلب» يوحي لنا بالحركة الخفية والقوية «حركة الصلب» .. وجاء هذا التقديم والتأخير موحيا جميلا .. فهي قد يبست ، وتلتفت لتعرف السبب انها صلبت ، والمعتاد أن يقول صلبت فيبست ، ثم أوغل معه في معناه ، إنها صلبت في أحلامه ، ثم يبست في دمه ، أي أن هذه الرؤي عندما كانت حية مرفرفة كانت مرفرفة حائمة كالطيور ، كانت في سماء أحلامه وخياله ، ولكنها عندما صلبت سقطت لتتدحرج الى دمه .. هذا التدحرج الذي يتلوه اليبس ، لا يعدم في نفس الشاعر أثرا : «تنبت غربة وحشية تغتال أنسامي» ، أي تبدأ رحلة الضياع والغربة ، وعبر الشاعر عن هذه الغربة بأنها وحشية لأنها تغتال أنسامه ، وهي «نبتت» لأنها ظهرت مباشرة بعد صلب رؤياه .. كما يظهر النبت بعد سقوط المطر .. والصورة معكوسة .. فالعلاقة هنا علاقة رد فعل أو استجابة لفعل «ما» ..

ويبقى بعد ذلك جانب التشخيص الذي أشرنا اليه ، والذي يتمثل في أن الغربة تأخذ صورة وحشية ، ولا نرى عجبا في ذلك اذا كانت هذه الغربة تغتال الأنسام وتقضي على كل سبب من أسباب الآمال والأماني في روح الشاعر ...

وأريد أن ألاحظ بعد إني استقصيت التحليل في الأبيات القليلة التي تعرضت لها بعض الاستقصاء .. وقد تعمدت أن أركز على دراسة الألفاظ خاصة .. وانما أردت من وراء ذلك شيئين :

أولا :ابراز البعد الفني في اللغة الغمارية ...

ثانيا : فتح المجال أمام القاريء ، لفهم الغماري ... وحسبي بهذا وذاك فائدة تقتنى ..

واذا كنت والى حد (ما) قصدت الى توضيح مزايا اللفظ وبراعة الشاعر في استخدامه .. فإني أرى من حق الشاعر والقاريء علي أن

أتوسع أكثر من ذلك ، فإني أعتذر بتقديم بعض النماذج الحية من مثل ماقدمت ، ودواوين الشاعر طافحة بمثل هذه الفنيات الرائعة من إيحاءات وحركيات حيوية .. تجعل من الصورة تمثيلا معبرا متدفقا بالمعاني جياشا بالمشاعر ، وهذه الفنيات التي كثيرا ما يكون اللفظ فيها شحنة عاطفية وطاقة وجدانية يفجرها الشاعر وفق تجربته النفسية وموقفه الفكري والفني ، وهذه الطاقات الوجدانية التي كثيرا ما يتعانق فيها اللفظ والمعنى دونما واسطة تقوم بينهما ..

ولا يسعني في هذا المجال الا أن أفتح المجال بينك وبين الشاعر ، في بعض النماذج التي تمثل بعض الجوانب الرائعة من انتاجه في ديوانه الأول «أسرار الغربة» ...

يقول الشاعر في إحدى قصائده :

نزت من جراح الدرب أجنحة هلامية

ويقول معبرا عن بعض حالات حزنه :

يجول بدمعـــــــي آه يمزق مقلتـــي شفــــرة
على أهــداب ظلمــائي تفشى في دمـــي جمرة

ويقول في غير هذا الموضع :

وإن حدقت كنت الضوء منتشيـــا بجفنيـــــه

وهي أبيات كما يلاحظ القاريء الكريم ــ تجمع الى رونق الشعر ــ شفافية التعبير وطلاوة المعاني ...

وقد أحسن الشاعر واجاد ، حين صرخ ساخطا على هذه الوضعية المأساوية التي يتخبط فيها العالم الاسلامي ، هذا العالم الذي يملك من قوة الاسلام ما يجعله قائد الركب وسيد المواقف ، ولكن مع الأسف والعجب ..

عجبــــا نملك ناره ؟! وتظـل تعلكنـا القيـود

ويقول :

أرنـو فتمضغنـي الوجـو ه السود والشبق الحقـود

والشاعر دائما يمثل مبدأه ..

ويتفجر شاعر الأسلام متحسرا كافرا بالظلام .. كافرا بالقيود :

لولا الظـلام الوغـد ير هق خطوه .. لولا القيود
لانثـال في ظمـإ المدى نارا تخاصرنـا الوعـود
فأضمهـا وردا اليها وعشقـا ... لا أحيـد
وأقـول : يانـار اهـطلي أنا في رضاك إذا سعيـد
ما النـار الا ما تشر ش في لهاتك يانشيـد
ما النـار الا في حنايـا الدرب .. يلجمه الوعيد

وأكثر من ذلك حين يثور على الواقع المزري واقع «الزيف» .. و «الصمت البليد» !!

ويظـل يركض في مداه الزيف .. والصمت البليد
شبق الليلي الحمر عقبا ه انتحـار .. أو جمود
مهمـا تخاصره المرا يا أو تخامـره النهود
شبـق الريـاح السوديـا صرعاه ... قيح أو صديد

أما العقيدة لدى شاعر كالغماري ، فهي ليست موقفا شعريا أو فكريا ، فحسب ، بل هي مرضاه ومبتغاه ، نضاله وجهاده ، وثورته الخضراء ...

شرفي على هام العـرو بة تشرئب له البنـود
شرف العقيـدة ثورة خضراء تحرسهـا الزنـود
شرف العقيـدة فارس ... في جرحه انتفضت عهود

وهكذا يتضح البعد الاسلامي الرائد على لسان شاعر فذ .. يقول ويريد أن يفعل .. يريد أن تكون العقيدة الاسلامية راية خضراء تحرسها الزنود وتحميها السيوف ، انها الحركة الواعية نحو مستقبل أشرف وأفضل وأنبل ، نعم إن العقيدة الاسلامية لدى الغماري ، وعي نابض بالواقع متوثب نحو الانتصار .. الانتصار الذي يهدف الى المجد والخلود ، يهدف الى البناء الحضاري والمثل الانسانية الخالدة ، وهذه الحركة الإيجابية نحو الانسان والمكان والزمان ، تنبثق من روح شاعر ملهم ، امتزجت دقائق نفسه الكريمة بروح العقيدة العظيم ، فشرَفُ العقيدة ليس تهويمات طقوسية آلية .. وانما ...

شرف العقيـــدة ساعـــد للفجـــر وثبتـــه شديـــد
شـــلال إيمـــان يهـــيم على خُناياه الخلـــود

انه شاعر يدرك تمام الادراك ، انه يعيش أحداث القرن العشرين ومتناقضاته ، فحدد موقفه دونما تردد أو تشكك ، فأوقف جهاده على الاسلام ، واستمات في الدفاع عنه .. وبذلك صارت العقيدة الاسلامية حياة متكاملة زاخرة في شعره .. حياة ممتدة الابعاد في كونه الفني والنفسي ، متغلغلة في روحه ووعيه ، وبهذا صارت أملا مشتاقا يريده أن يختصر المدى انها حلم جميل يود لو يراه واقعا ...

أنا في صباحك يادروب رؤي تفيض ربيـــع بشر
أنا صيحـــة النـــار تنثال أمواجـــا بصدري
أشتاقها خضراء ... تختصر المدى .. فيثور سري
مطرا على ضمـا الـدروب السمـر في الألم الأمر
يشتاقني فأضمـه ... وتضمنـا أعمـاق جمر

فالعقيدة لدى الغماري هي الماضي بعزه ومجده ، والحاضر بشوقه وتطلعه ، والآتي بحلمه وانتظاره ، لا ريب أن شاعرا تتحد ذاته بعقيدته ،

كونه ، بحياته ، يرتبط أشد الارتباط بموقفه بمبدئه .. ويتوقع كل يوم عودة «الخضر» وعودة «الخضراء» ......

سلـــم دم ... وخواطـــر أشتـــات
وهـــوى على جمر المدى يقتـــات
ورؤى تلـــوب جريحة ... أعماقهـــا
مصلوبـــة في جرحهـــا الكلمـــات
مقهـــورة ... يافجـــر سافـــر في دمـــي
ييست بشريـــان الحنين صلاة
وأرعـــد على الأيـــام رمـــز عقيـــدة
في بعدهـــا ... تتعانـــق الرايـــات
اني أراك على الزمـــان قصيـــدة
تخضر ــ حين أقـــولها ــ الأبيـــات
تنساب في شدو اللقـــاء خضيلـــة
فتميـــد عبر لقائنـــا الآيات
خضراء تورق في الـــدروب سحابـــة
من فيضهـــا تهب الـــورود فلاة
قدسيـــة الأبعـــاد تركض في دمـــي
سفـــرا ... فتزهـــر بالقصيـــد لهاة

الى آخر هذه القصيدة ، وهي طافحة بالاشراقات الرائعة والاشعاعات البديعة ...

وكثيرا ما تغمر الشاعر كآبة حزينة ، ناتجة عن الوعي الشديد بواقع الحياة ، كآبة نفس عاشقة متلهفة ترى الفارق بينها وبين ما تروم بعيدا جدا ... بين الواقع الحاضر والحلم الجميل ... حلم العقيدة الخضراء حيث تتفجر حياة فياضة بالحب والأمان والخير والعدالة .. حين يتمثل الشاعر ذلك يزفر زفرات تتخلل لحونه وروائعاته ...

تورق الزفرة الكئيبة في لحني وتخضل في دمي الأحزان
حين يرنو طرفي الى الحاضر الأصفر يجتره الأسى الأسيان
يلهث الرعب في مساكب ضوئي ويعفـــي جلالها العـــدوان

وكثيرا ما يصطدم الشاعر بالواقع المر الأليم ، فيصرخ تلك الصرخات الأليمة المرة .. ويتأوه تأوهات تهتز لها القلوب .. إنها صرخات مفجوعة مكلومة .. صرخات من يفقد الحلم الوحيد والعزاء الفريد ...

واستمع اليه وهو يصور تلك الآلام والفجائع .. ولله دره .. حيث قال :

شرب الدجـــى والقهـــــر منى .. آه وانتحـــرت سنـــون
وأنـــا لهاث الوهـــم ير كض في دمي حلـم حزيـــن
تنشرس الظلمـــــات في كبـــدي أسافـــر في الحنين
ورؤاي ورد دم تبعـــــــ ـثره مسافـــات الظنـــون
والقـــلب ينـــزف والمدى ظمـــأ يسيـــل على الجفـــون
ظمـــأ تولـــول في مدا ه النـــار ... يحتـــرق اليـــقين
سكـــر ألنعـــاة ولـــيتهم شربـــوا من الألم الـــدفين

تشدو الطيـــور ومـــا لشد وي حين أزهـــر من مقـــام
شفتـــي على حسك الـــدرو ب تئـــن يسفحهـــا الظـــلام
وتئـــــن تصلبها المسا فة .. آه يثقلهـــا الهيـــام

الى آخر هذه الرائعة الفذة ، التي تكثر في الديوان مثيلاتها ... والتي تطفح كما لاحظت بالقوة والعمق ، الذي يجمع الي سمو الباعث ونبل القصد ، شهامة الموقف الى ذلك جميعا ذلك الجمال والجلال الذي يعكس صدق المعاناة .. التي تشرق بالمعاني الشعرية النابضة بروح الأمل وحيوية الدافع ، وجموح الثورة الجادة الهادفة نحو قمة خضراء وهمة قعساء جعل الله زمنها قريبا ...

خلاصة أولى

ونعود في هذه العجالة السريعة .. لنجمل تفاصيل النتائج الأولى ، المبثوثة خلال الصفحات السالفة ، وأترك المجال للقاريء ليعود بنفسه الى ما سلف من هذه الدراسة ، ليستطلع بنفسه النتائج التي مرت معنا بنوع من التوضيح والتحليل ...

وقد ارتأيت أن أقسم هذه النتائج الأولية الى قسمين ، القسم الأول منها يشتمل على النتائج النفسية التي لها علاقة بالناحية الفكرية والفنية للشاعر ، والقسم الثاني يشتمل على الملاحظات الفنية التي تميزت بها اللغة الغمارية ..

ا) الملاحظات النفسية التي لها علاقة بالناحية الفنية والفكرية للشاعر :

1 ــ شعور حاد يقظ :

يتميز الشاعر بشعور حاد مركز يقظ ، أثناء العملية الشعرية ، وعلى هذا فبالرغم من تداخل المعاني العميقة الدقيقة ، وتشابك الظلال والدلالات اللغوية في كثير من الأحيان ، فإن ذلك لايفقدها الحبك القوي والدقة المتعمقة .. وهذا يدل بكل يقين على معايشة الشاعر لموضوعه وعمق تجربته النفسية ، كما يدل على سيطرته السيطرة الكاملة على وسائله الفنية المختلفة ....

2 ـــ شجاعة الرأي وجرأة الموقف :

فالشاعر كما رأينا لا يتوارى وراء أي ستار ليضرب أعداءه .. بل يخرج عليهم في وضح النهار ، ويجهر بمعاداتهم .. كما ينبري لرد هجوماتهم بكل شجاعة وجرأة .. ولهذه الصفة دلالات متعددة .. منها أنها دليل على أصالة الطبع الكريم ومنها أنها دليل على أنفة المسلم الشجاع الواثق من عقبى النهاية .. ومنها أنها دليل قاطع على وضح الرؤية الفكرية لدى الشاعر ....

3 ـــ روح التحدي والثورة :

الشاعر مصطفى محمد الغماري .. رافض لكل انهزام ثائر على كل ذلة أومهانة .. يلحقها الأعداء بعقيدته أو بتاريخه .. فهو ثائر متحدي على طول خطي الدفاع والهجوم .. لا يستسلم ولا يسالم مهما كانت الظروف لصالح أعدائه ، ولا يقبل بالمصالحة أو الهدنة .. فهو سيل جارف في دفاعه وهجومه لا يقف عند حد معلوم أو نهاية محددة .. غير نهاية الانتصار .. وعلى هذا كان رفضه للواقع رفضا كليا لاتوسط فيه .. انه يريد اسلاما كاملا .. فلا غرابة إذن إذا اتصف بهذه الصفة الثورية ....

وقد كان لروح التحدي أثر كبير في شعره .. وعلى رأس هذه الآثار .. تلك الصوفية التي يجهر بها أحيانا في شعره .. ولا صوفية لدى الغماري ، غير النزال بالرأي والشعر في سبيل الله والاسلام .. وما صوفية الغماري ، غير ضرب من الجهاد لأعداء الاسلام .. إنه شد الوتر الى آخر درجة ردا للفعل الاستهتاري .. وخير دليل على ذلك .. هجومه على أعلام الحمراء «ماركس» و «لينين» و «بابلونيرودا» .. إنه ضرب أعدائه في قمة مثلهم العليا .. كما يظهر هذا التحدي الجريئى في رفض الواقع الحاضر في صورة الماضي الآتي .. عودة «الخضراء» ...

فالتحدي والثورة صفتان بارزتان في شعر الغماري ، وخاصيتان أساسيتان في نفسه ....

4 ــ مواقف الغماري هجومية دفاعية :

لو جاز لنا أن نلخص انتاج الغماري لما لخصناه في أكثر من كلمتين «هجوم ودفاع» ، هجوم على أعداء الاسلام ، ودفاع على قيم الاسلام الخالدة .. وما بقي بينهما تفاصيل وأحداث وقيم جمالية وفكرية .. فالمواقف الهجومية هي التي يقصد بها النيل من خصومه ، بفضحهم وفضح أساليبهم وطرقهم المختلفة .. وضربهم في صميم مثلهم الأعلى ، سواء تمثل ذلك في مذهب أو اتجاه عقائدي ، يراد به محاربة الاسلام .. أما مواقفه الدفاعية فهي التي يرد بها على خصومه ويفند بها أقاويلهم ومزاعمهم وهي ذات طابع توتري انفعالي حاد كثيرا ما يتحول الدفاع فيها الى هجوم .. وتلك علامة على قوة العصبية للاسلام .. واتحاد الشاعر بمبدئه الى درجة لم يعد من السهل معها الفصل بين القضايا الذاتية والموضوعية للشاعر ....

5 ــ اختلاط الأبعاد الزمانية واتحادها :

إن الماضي والحاضر يختلط لدى الغماري ، ذلك أن الشاعر يرفض الحاضر رفضا كليا .. ويريد للماضي المجيد أي قمة الماضي الاسلامي .. أن يحل بدلا من الحاضر ولذا فهو يعيش حاضرا مرفوضا ويتطلع الى آت ينبى على أساس القيم الاسلامية الخالدة .. ولعل هذا مادفع البعض أن يتهم الغماري بالضبابية والغربة ، وعدم الوعي للحاضر واستيعابه غير أن ذلك زعم باطل .. فالذي لا يعي الواقع لا يثور عليه ثورة واعية .. والذي لايعي الواقع لايطرح له بديلا واضحا .. لأن الذي يطرح البديل الواضح .. هو واع بمواطن الخلل و الفساد .. وغربة الشاعر كما أشار اليها هو ، انما هي هذا الجهاد المتواصل من أجل تحقيق الواقع الأمثل .. والذين اتهموا الغماري بذلك لم يكلفوا أنفسهم دراسة شعره والبحث عن دقائق نفسه وابعاد مراميه . وانما هم أرادوا أن يلحقوا به عيبا وأن يشوهوه

كيفما اتفق .. فظنوا أن كلمة في صيغة حكم كافية لذلك .. ولكن هيهات .. ثم هيهات ..

6 ــ اتحاد الذات بالموضوع :

اتسم جل انتاج مصطفى محمد الغماري ، بعمق التجربة النفسية الصادقة .. التي ترتكز أساسا على وضوح البعد الفكري هذا الوضوح والتركيز في الاتجاه الفكري .. الذي يؤول اليه القسط الأعظم من نجاح الشاعر .. زيادة على الطبيعة الخاصة التي ربطت بين الشاعر وموقفه الفكري ...

إن مواقف الشاعر ، اتسمت عموما بالدفاع والهجوم الجادين .. فهو صاحب قضية معينة ، وصاحب موقف نضالي ثابت .. فهو عندما يتعرض لخصومه .. يعمل جاهدا على فضحهم وتقويض أركانهم وهو قادر على ذلك الى حد بعيد .. فهو قادر على ذلك لأنه يطعنهم في صميم مواقعهم .. معتمدا في ذلك على قوة دينه وعظمة تاريخه التليد ، فهو قادر بأسلوب الحقائق الواقعة .. فلا يحتاج الى سخرية أو هجاء مقذع .. وهوقادر فوق ذلك بفضل ذكائه وسيطرته على فنه ، فهو قادر على تضييق الخناق عليهم لأنه متمكن روحيا وفكريا ، فله مندوحة عن ذلك ، وهو في المواقف الساخرة على ندرتها متعال .. كما لاحظنا ذلك في بعض مواقفه حيث يشبههم بالخفافيش لضعفها وحقارتها .. وهم أمام هذا كله عاجزون لأنهم يعتمدون على مباديء ضيقة في أفقها ونظرتها تجاه الانسان والمكان والزمان ...

ب) الملاحظات الفنية في اللغة الغمارية :

1 ــ اللغة المباشرة :

ويقصد بذلك سقوط الواسطة بين الألفاظ ومعانيها .. مما يجعل العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة العين بالرؤية كما لاحظنا أثناء ما تقدم من هذه الدراسة ...

2 ـ الألفاظ ذات شفافية واشراق «ضوئية» :

إن الألفاظ لدى الغماري .. ليست تلك المفردات الوصفية المجردة من الظلال ، والأجراس والايقاعات الخ .. فزيادة على ذلك فانها تأخذ ألوانا وأبعادا فنية تستمدها من روح الشاعر ومن تجربته النفسية الواعية التي يعم شعورها وطابعها كل وسيلة ووحدة بنيوية داخل التركيب الكلي ...

3 ـ اللغة الغمارية ذات بعد فني وشخصي أصيل :

اذا كانت اللغة لدى الغماري تتلون وتتشكل حسب التجربة النفسية .. فهذا يكسبها خاصيتين :

ا) أنها تكتسب طابع تجاربه النفسية الشعورية .

ب) أنها تعكس أصالته وذوقه الفني المتميز ..

فأنت إذ تقف على انتاج الغماري ، على كثرته وسعته ، فانك تجد الألفاظ فيه ذات منحنيات متقاربة متباعدة بحسب المواقف والتجارب والحالات . ولكنها في جميع ذلك كله هي اللغة الغمارية ذات الميزة الواضحة المنفردة ..

4 ـ اللغة ذات روح وكيان لدى الغماري :

فهي تكتسب دلالاتها الفنية المختلفة ، من التجربة والموقف «البئة النفسية» بل هي في كثير من الاحيان طاقات وجدانية يفجرها الشاعر في الوقت المناسب ، فالكلمات عنده أرواح مشرقة تكتسي ظلالا متماوجة وصورا متعانقة ترسم ابعادا شعورية وفكرية واضحة ملتزمة ازاء التركيب الكلي المتكامل ...

5 ـ التجسيد والتشخيص لدى الشاعر :

ولهذا العامل أهمية أكيدة في ابراز المعاني . وخاصة وأن الشاعر يوغل في بعد فني جديد .. كما يعود هذا الى قوة الخيال العملي اليقظ والذي يلعب دورا فعالا في البناء الداخلي للقصيدة ...

6 ـــ تشابك القيم الشعرية وتداخلها :

تتداخل القيم الجمالية والشعورية والفكرية في شعر الغماري بصورة خاصة .. وقد اتضح ذلك جليا أثناء تحليلنا لبعض شعره .. فلا يخلو بيت منه دون أن تتلاقى فيه القيم الثلاث وتترافد .. وهذا دليل قاطع على أصالة الشاعر وفهمه العميق لمفهوم الشعر . ولهذا الجانب علاقة وطيدة بثقافة الشاعر ومنظوره العملي للشعر ...

7 ـــ تكسر جدار الزمان والمكان :

ويجب أن نلاحظ أن هذه الظاهرة قليلة في شعر الغماري نسبيا .. وهذا يعود بالدرجة الأولى الى أن الشاعر في بداية حياته الفنية .. ثم أن الإكثار من مثل هذه القضايا الفنية ، كثيرا ما يطوح بالشاعر بعيدا عن قضاياه والتزاماته .. كما أن الإكثار من مثل هذا يدفع الى غياب الوعي الشعوري ، مما يشكل غموضا ومتاهات لانهاية لها . وبالتالي يتحول الشعر الى مجرد هلوسة عقيمة لارجاء فيه ...

8 ـــ لانهائية الكلمة :

حيث تسبح الكلمة الشعرية في بعد لانهاية له من الطلاقة واللامحدودية ، وهي لدى الغماري لانهائية واعية ، بظرفها الفني فهي بانية للصورة في غير (مط) شطط أو جنوح يدفع بها الى المتاهات الانغلاقيةالغامضة حيث اللاجدوى ...

9 ـــ وضوح المضمون الشعري :

بالرغم من المستوى الفني الرفيع .. الذي توصل اليه شاعرنا ، وبالرغم من العمق الفكري الذي يسبر أغواره .. فان ذلك لم يعدمه الوضوح والجلاء وهذا يعود دون بحث يطول الى وضوح الهدف الفكري والسيطرة الكاملة على الوسائل الفنية المختلفة ...

التراكيب الشعرية

ان اللفظ هو أساس البناء التركيبي الفني ، فهو بمثابة الوحدة الأساسية التي يتم بواسطتها التناسق والترتيب والتركيب .. مكونة «الوحدة التركيبية الشعرية» والتي تتحد مع مثيلاتها من التركيب في نسج ملتحم متراكب متعامل .. يكوّن البناء الشعري كالقصيدة الشعرية مثلا ...

ومن هنا فان أساس التراكيب الشعرية .. انما هو اللفظ بترتيبه وتنسيقه : واستخدامه استخداما ملائما مشحونا بالعواطف والمشاعر والمعاني .. وبالتالي يشكل النسيج الفني البارع الدقيق .. الذي يجمع الى قدرة الفكر حدس الذوق النفاذ .. فالشاعر انما يعتمد في عمله على أمرين أساسيين :

ا) ملكته العقلية المتمثلة في عمق تفكيره وسعة اطلاعه .

ب) ملكته الفنية الواعية والتي هي عطاء الطبيعة وجبلة التكوين الفطري ...

ونعود الى البنية اللفظية والتي هي دونما ريب ذات مدلول (ما) غير أن هذا المدلول وحده منفردا يكون عن يقين عديم الجدوى أو عقيم الدلالة الكاملة .. ما لم يتكامل مع غيره مشكلا تركيبة ذات مدلول فني أو فكري واضح .. وعلى هذا فان اللفظ بكل مقوماته هو جزء من التركيب الكلي ...

ومنه يمكن اعتبار مزايا اللفظ المختلفة مواد بناء التركيب الفني .. وما دام الأمر على هذا النحو . فإن مزايا اللفظ الإيجابية هي في حد ذاتها مزايا العبارة الناجحة .. غير أنها في هذه متحدة متكاملة وفي تلك منفردة عاطلة ...

وإذا كنا نعتبر الالفاظ الجيدة هي تلك اللبنات الأساسية التي يقوم عليها التركيب .. وهي التي تمد العبارة بالطاقات الوجدانية والفكرية والخيالية .. فإن العبارة الشعرية هي التي تحوي هذه القيم الفنية بنطاق أوسع وأفق أرحب ...

ومن هنا نستنتج أن نجاح العبارة الشعرية إنما يكون بمدى تفاعل الألفاظ وتكاملها وتعاملها مع بعضها البعض كما يكون مقياس نجاح العبارة الشعرية .. هو مدى احتضانها للشحنات الوجدانية واستنفادها للطاقات الشعورية .. واحتوائها للمضامين الفكرية التي تنطوي وراء الصور والظلال والأجراس والإيقاعات ومما لاشك فيه أن العبارات الشعرية إذا لم تتكامل مع غيرها فإنها تظل شحنات وطاقات شعورية وفنية أو مضامين فكرية قاصرة عن احتواء التجارب النفسية وتمثيلها تمثيلا كاملا .. لأن أساس البناء الفني المتكامل داخليا وخارجيا على صعيدي الشكل والمضمون .. ومن ثمة احتاجت التجربة النفسية الى تكامل الوسائل الفنية التعبيرية واتحادها وتناسبها واتساقها .. وبذلك كانت القصيدة الشعرية تمثيلا كاملا أو نسبيا للتجربة النفسية الكاملة ونقلها في أمانة وبراعة .. وهي قائمة أساسا على مزايا اللفظ والعبارة الشعرية بمضمونها الفكري وفنياتها المتداخلة ...

ونوجز القول عودا الى التركيبة الشعرية .. فنشير الى أن أساس التركيبة الشعرية هو اللفظ وأساس القصيدة الشعرية هو العبارة من حيث التركيب البنيوي ، وحتى لا يختلط الأمر على ذوي الحساسيات الفنية — وهي أساسها من حيث هي وحدة فنية تعبر عن تجربة معينة تتسق

فيها العبارات الشعرية .. وتتشابك مكونة البناء المتلاحم الذي هو أخيرا القصيدة الشعرية ...

ولعلنا نستطيع أن نضع المميزات الأساسية للتركيبة الشعرية حيث نجملها فيما يلي :

1) التناسق والاتساق «داخليا وخارجيا» .

2) الوضوح مع العمق والبيان ...

3) الايحاء : اتحاد وتلاحم وتلاؤم الأجراس والظلال والصور بحقيقة فنية مقصودة ...

4) المضمون : ويقصد به المحتوى الفني والشعوري والفكري .. وما دام الشاعر لايستطيع أن يعبر عن تجربته النفسية دفعة واحدة في دفقة واحدة .. احتاج الى نوع من التدرج ، يتطلب وسائل ملائمة لذلك .. وعليه كانت العبارة الشعرية وسيلة جزئية يعتمد عليها الشاعر في نسج بنائه الشعري الذي يمثل أخيرا تجربة معينة (نفسية) وأثرا فنيا مستقلا ...

وما دامت هذه الوسيلة «الجزئية» في طريقها حتما الى الاتحاد مع بقية الوسائل الفنية الأخرى .. أو مع الوحدات التركيبية مكونة نسيجا شعريا .. فلابد أن تحتوي على قيم فنية ونفسية وفكرية جزئية .. استوجب قهرا أن تتناسب مع المضمونات الجزئية الأخرى .. ومن هذا المنطلق تؤدي العبارة الشعرية دورها كاملا .. حيث تتسق الألفاظ وتتحد الأبعاد الفنية والموجات الإيحائية كالظلال والأجراس وبالتالي تكون العبارة الشعرية دفقة عاطفية وموجة شعورية وفنية وفكرية تشكل مع غيرها من الموجات بحيرة شعرية تلتقي وتتكامل فيها القيم الثلاث ...

التركيبة الشعرية الغمارية

قلت فيما سبق من هذه المحاولة الدراسية .. أن الغماري قد خطا خطوة واسعة ، واستطاع أن يتجاوز الكثير من مميزات الشكل الشعري السابق له .. وأنه بهذا أعطى نفسا قويا ودفعا واعيا للشعر العمودي .. حيث زوده بروح حي نابض .. على صعيد اللغة الشعرية (الشكل والمضمون الفكري «البعد الفكري» .

وتطرقت أيضا الى الشاعر محمد العيد ، وكيف أن اللغة كانت لديه وسيلة مباشرة للتعبير ، مما ميز شعره بالمباشرة والتقريرية .. وبالتالي خلوه من الظلال والأطياف والإيحاءات الفنية المختلفة ...

غير أن هذا لايحط من مكانة محمد العيد .. فلمحمد العيد وجهة أخرى وأحكام أخرى ...

وللوقوف على حقيقة التركيب الشعري الغماري .. لابد لنا من إلمامة شاملة بانتاجه ومراحل تطوره ، ولا يمكننا ذلك تفصيلا بحال من الأحوال .. لأن هذا من شأنه أن يجعل الطريق طويلا ..

لكن القراءة المتأنية في شعره ، ودون عناء كبير ، يتضح منها هذا الجانب .. وعلى سبيل الإيجاز والتركيز ، فإن شعر الغماري قد مر بطورين مختلفين :

ا) الطور الأول : وهو الطور الذي طغت فيه التقليدية والتقريرية والمباشرة ...

ب) الطور الثاني : وهو طور الاستقلال والتحرر وهو الذي خطا فيه الغماري خطوة إيجابية واعية ومركزة نحو أسلوب فني جديد متميز المعالم واضح الملامح بارز الشخصية ..

غير أني أجزم بهذا الصدد أن الشاعر لم يقدم لنا كل أشعاره التي أنجزها في الطور الأول .. ودليل ذلك أن ديوانه الأول يمثل مرحلة صراع .. إذ أننا نجد ملامح التقليدية تختلط بملامح التجديد والاستقلال وتغيب أحيانا كثيرة فتطغى عليها ملامح الجدة .. ومرحلة الصراع هذه .. هي التي غالبا ما تأتي بعد المرحلة الأولى التي يكون الإستلاب فيها كليا تقريبا ...

واذا رجعنا الى انتاج الشاعر نفسه .. فإن الدليل لا يخذلنا فيما ذهبنا اليه .. ففي ديوانه الأول «أسرار الغربة» وفي الصفحة السابعة ، وأولى قصائده ...

يقول الشاعر :

أحـــارب في دينـــي وفكـــري ومذهبـــي
وأرمــــي بزور القـــــول في كل مشعب

ومن نفس القصيدة يقول :

ومـــا أنـــا الاغصة في حلوقهـــم
وحشرجــــة الأقـــدار في صدر مذنب
ومـــا أنـــا الا النـــار تشوي قلـــوبهم
والا الضحـــــى يرمـــــي بأشلاء غيهب

والفرق بين الصياغتين واضح ، لايحتاج الى دلالة أو تعليل .. ثم أنظر قوله من نفس القصيدة :

يقولـــون : ما الـــرحمن ؟ أيـــن ؟ ومـــا الهدى
كلام قديم .. ليس يجدى مهـــــزأ

وما ذاك .. والثورات فتح مقدس
جديد لأبواب العقول ومبدأ
شيوعية حمراء .. تشفي غليلهم
ولكنها تدمي القلوب ..... وتظميء

فليس من أحد بعد تبصر ومقارنة يرى ، ان هذا القول خال من التقريرية والمباشرة .. وبساطة الصياغة وتجرد الأفكار عارية من كل مزية فنية .. غير أنها أفكار ذات مدلولات عقلية بحتة .. ونحن إذا تابعنا القصيدة كلها .. لانكاد نستثنى منها هذه التقريرية المباشرة والبساطة الفنية الا في أبيات قليلة .. ولا يعد هذا مغمزا في شاعرية الشاعر .. إذ أن هذه مرحلة لابد منها لأي من كان ...

وظاهرة التطور السريع على المستوى الفني في شعر الغماري .. لهي ظاهرة جد واضحة ، كما أن لها أكثر من دلالة على شاعرية الشاعر ..

هذا الشاعر الذي أخرج قصيدته الأولى بتاريخ 73/08/22 ، وتلتها الثانية بتاريخ 77/07/01 وهي قصيدة (هيلانا) المنشورة في نفس الديوان ، ص : 15 ...

ولا يهمنا إن كانت كتبت بعدها مباشرة أو بعدها بمدة .. ولكن الذي يهمنا حقا «الفاصل الزمني» والذي لا يعدو أربعة شهور .. فيكون الفرق بينها وبين أختها كبيرا جدا شكلا ومضمونا .. واستمع اليه .. وهو يتألم في حزن عميق .. ويشكو شكاة مرة أليمة .. شكاة تهز الوجدان وتقتلع القلوب .. لو كانت في الصدور قلوب ...

يلوك الحزن أشواقي ... يئن اليأس والضجر
يطوحني كما الآمال في جنبي ... تنتحر
فيدميها اللهيب المر .. يدميها .. فتنتثر
بعيد عنك هيلانا ... فلاناي ولا وتر
ولا أمل يبرعم فيه ... يزهو .. يحلم الزهر
ولا ذكرى تعاودني وهل سيحلو لي السمر

ولقد أجاد وأبدع حين قال :

هنا تطويني الأيام يشرب من دمـــي سأمـــي
هنـــا .. آه حيران حيث تعثرت قدمـــــــي
وتلـهث تلـهث الظلمـاء في عطري وفي شممي
يداهـا النار ... مصلوبـــا على شلالها حلمـــي
ومزدهـــرا على أبعادهـــا ... في غربتـــي ألمي
هنـــا ... وانثـــال في واديك قيثـــار بلا نغـــم

وعلى هذا المنوال يستمر الشاعر في جل انتاجه .. وخاصة في رائعاته التي يصل فيها قمة الاستقلال والتحرر ، وقمة الابداع الفياض الذي يلائم روحه الشعرية ورؤيته الفنية والفكرية ... وان تخلل بعض قصائده الأخرى نوع من المباشرة في البيت والبيتين والمقطع وذلك لأنه ليس من السهل اليسير على شاعر ملتزم ازاء التراث أن ينفذ من عبئه الثقيل الذي يجرى في دمه ويستقل بعالم شعري كامل بين عشية وضحاها .. غير أن جميع انتاجه مطبوع بطابعه وروحه الشعرية .. وهذا أمر طبيعي بالنسبة لشاعر استطاع أن يوجد معالمه الفنية في سنوات معدودات .. فهو اليوم متميز الأسلوب ، متميز الرؤية الفكرية والفنية ، بارز الشخصية مستكمل الأدوات في كل ذلك .. يسبح في عالم شعري خاص ... وليس هذا بالقليل ...

واذا أردنا أن نميز العبارة الشعرية الغمارية فانها نوعان :

ا) عبارة تأثرية تقريرية وهي قليلة ...
ب) عبارة أصيلة فنية موحية وهي الغالبة على انتاجه ...

وقد وضح لنا نوع العبارة التأثرية في الابيات القليلة التي تعرضنا لها قبل هذا .. أما بالنسبة للعبارة الشعرية المستقلة التي بلغت حيز الانعتاق والتحرر .. فهي تندرج في تطورها ضمن التطور المتكامل لأدوات الشاعر الفنية في صياغته الشعرية ...

وإذا كانت العبارة الشعرية مرت بطورين كما وضح لدينا فان خير مايبدعه الشاعر في طوره الثاني هو أن يتحرر في صياغته وتفكيره .. فيكون لديه عالم خاص واسلوب شخصي يحمل طابعه وسماته ويعكس فرديته ذوقا واحساسا وشاعرية ...

وفعلا فقد استطاع الغماري أن يحقق ذلك الى أمد بعيد فكان أسلوبه علامة واضحة مميزة لشخصه في جل انتاجه والذي هو طليعة حياته الشعرية بعد .. ولست أنفي عنه بعض الفلتات «التأثرية» والتي ظهرت متفرقة في انتاجه الشعري .. غير أن الطابع العام للانتاج يظل محتفظا بملامحه الغمارية .. والتأثرية جزء محدد لايخل بالشكل العام أو المنحني العام لانتاج الشاعر ...

وليس لأحد كان من كان أن ينفي هذه التأثرية ثم أن التأثرية ليست كلها سلبا .. فلها أيضا إيجابيتها في وقتها المناسب .. ولعل خير مايبرز لنا هذه الفلتات التأثرية بعض الأبيات من قصيدته «في محراب الزمن الأخضر» من ديوانه «نقش على ذاكرة الزمن» ..ص : 09..

يا تلـــمسان .... مبحـــــر فيك شوقي
وأنـــــا الحب .... ماله شطـــــآن

وحين يقول :

أصحيـــــخ أن الغـــرام جنـــون
حين يقتـــــات سره الوجـــــدان
مرحبـــا ياجنـــــون ... أنشد عقلي
في حنايـــــاك ... يورق النسيـــــان
مرحبـــا مرحبـــا ... فاني معنـــــى
ومـــن الحب يولـــــد الانسان
الـــخ ....

ولا أود أن أسترسل في مثل هذه المآخذ ، لأن قصدي هنا ليس احصاء سقطات الغماري ... أو أن أقوم بدور المحقق في خزائن الأموال .

وأعود من جديد الى العبارة الشعرية وشروطها الفنية التي يجب أن تتوفر فيها ، كي تكون عبارة ناجحة على الأقل ....

1 ــ أن تكون متناسقة داخليا وخارجيا ، بمعنى أن الفاظها يجب أن تكون متسقة منسجمة .. لأن تنافرها يخل بأجراسها وايحاءاتها وهذا يؤثر على ظلالها وصورها ومعانيها ...

2 ــ أن تكون موحية غير تقريرية ، وهذا يتحقق باتحاد الأجراس والظلال والصور ، وتلاؤمها وانسيابها في النطق والحس ... مع شحنها بطاقات وجدانية ، مما يجعلها نابضة حية .. وابتعاد لغتها عن الركاكة والابتذال ... واستخدامها استخداما فنيا موحيا ...

3 ــ أن تكون واضحة المرمى جيدة التمثيل لوجدان الشاعر ، وأن لا يكون الأغراب والغموض والرمز شططا ومغالاة مقصودة إذ إنه مجرد عبث لاطائل وراءه .. ولابأس أن تقتصر على الغموض الفني .. فذاك ميزة من ميزات الشعر بل مطلب محمود وفضل مشكور ....

4 ــ أن تكون مستنفدة لطاقتها الوجدانية ، حاوية لشحنتها العاطفية في سبك قوى وبراعة إيحائية وبالتالي تكون غاية ووسيلة ، تمثل مرماه أحسن تمثيل وتؤدي قصده أوفق أداء .. كما تكون هي في حد ذاتها غاية جمالية عرضية .

ونعود الى شاعرنا مصطفى محمد الغماري ، لنمثل له بعض التمثيل ، لما بلغه من جودة التعبير وحسن الأداء .. يقول .. في « اغنيات الورد والنار » ص : 13 .. ساخطا على الحاضر .. ناقما على واقع الحياة ، مستلهما روح الماضي المجيد ....

يا بن الوليـد ... ضبـاب وجـه حاضرنـا
وظلمـة في مداهـا ينتهي الـبصر

نلاحظ منذ البداية .. أن صدق الواقع أبلغ من قوة الانفعال النفسي ، وعلى هذا انعكست القوة الخارجية على تركيب الشاعر ، متمثلة في قوة السبك وإحكامه ، مع وضوح المعاني والدلائل الفنية وضوحا مبنيا على أساس الوضوح الرؤيوي ، كما يتجلى الاتساق والانسجام اللفظي جلاء ظاهريا لا يحتاج الى دقة وتداخل ، كما كان الارتباط الجيد بين «التركيبة» والأخرى ارتباطا ظاهريا ، استعمل فيه الشاعر العطف الظاهر .

ويقول في نفس الديوان ، ص : 15 ....

جرح الكرامـة في كفـيك ملتهب
سيفـا على العـار لايبقـى ولا يذر

وفي الصفحة 17 ومن نفس القصيدة يقول :

ما السيـف إن لم تكـن للـه غضبتـه
كم الهم السيـف ما جادت به الصور

وفي الصفحة 19 من نفس القصيدة أيضا يقول :

تفجـري يادروب النـار ... ثائـرة
الـيس في دمنـا قحطـان أو مضر
هنّـا وهـانت جيـاد الـكبر وائتلـقت
ملاحـم في الضبـاب المر تشتجـر

وأول ما نلاحظه ارتفاع الموجة الانفعالية .. في هذه الأبيات اجتمع الوضوح الرؤيوي والصدق النفسي ، مما أدى إلى ارتفاع الطاقة الوجدانية بالرؤيا النفسية ، وبالتالي ارتفع التعبير الى مستوى المضمون الشعري ، وهذا يدل على قدرة الشاعر في مواكبة تجاربه النفسية ، ان ارتفاعا أو تفجرا وعمقا وانسيابا ...

والشاعر «هنا» يخاطب «لبنان» العربي الاسلامي الذي أضحى لعبة في أيدي الأشرار اللئام ، وأصبح نهبا للمتآمرين والعملاء ، فإهانة لبنان وضياعه مهزلة للإسلام والعروبة ، إنه حط للكرامة والشرف العربيين ، ووصمة عار لايمحوها غير السيف ، وقد عبر الشاعر على ذلك فأحسن التعبير :

جرح الكرامـــــة في كفـــــيك ملتهب
سيفــا على العـــار لا يبقـــى ولايـــذر

ويجب أن نلاحظ قبل كل شيء الانسجام التام بين الألفاظ ، وتجاوبها فيما بينها تجاوبا محكما قويا .. فليس من تنافر أو تلجلج أو تعلثم غير انسياب في النطق والحس .

ثم نلاحظ بعد ذلك الربط المحكم بين التركيبتين ، بين «جرح الكرامة في كفيك ملتهب» و «سيفا على العار لا يبقى ولا يذر» ...

فالشاعر لا يستعمل هنا الربط التقليدي ، بل استعمل ربطا تجاوزيا تداخليا ، وهذا لأن الربط الظاهر هنا من شأنه إضعاف الموجة فهي بعد الصعود تنزل ثم تصعد ، وهذا يتطلب انعطافا أيضا في الصوت والسمع ، ومثل هذا الالتواء في مثل هذه الحالة يؤثر حسيا وفنيا في الأداء الفني .

ولكن عندما يستعمل العطف الظاهر بعده ، يأتي قويا موحيا ومؤثرا «لا يبقي ولا يذر» لأن البيت قرب من نهايته ...

ما السيــف إن لم تكـــن لله غضبتــــه
كم الهم السيـــــــف ما جادت به السور

استفهام استنكاري .. يتلوه تقرير حازم .. يتلوه توكيد في صورة حقيقة دينية تاريخية «كم ألهم السيف ما جادت به السور» لاشك أن تنسيقا كهذا محكم .. تتوالى فيه المعاني المحكمة ، المتكاملة المتعاملة

المتجاوبة في اطار وحدات تركيبية ، تتداخل دلائلها وتتعاون على احتواء المضمون الشعري والفكري ، واستنفاد طاقة الشاعر الوجدانية .. هي من صنع شاعر قدير متمكن ..

تفجـــري يادروب النـــــار ... ثائـــــرة
ألـــــيس في دمنـــا قحطـــــان أو مضر

«تفجري»يا دروب النار «ثائرة» .. فا «التفجير» تعبير عن احداث زلزال وفرقعة قوية .. «يا» نداء صارخ ... «دروب النار» تعبير عن القوة والاحتدام «ثائرة» حالة شاملة لكل مظاهر القوة والانفجار ...

فهذا التجانس التركيبي المحكم المتوالي المتداخل المتواصل .. يكثف الدلالات الإيحائية التي تعطي بعدا معنويا موحدا .. وموجة شعورية رائعة موحدة ...

كل هذه الاتساقات والانسجامات وهذا التركيب المحكم ، يرسم صورة ملتهبة متفجرة مزلزلة ... يتلو هذا الهز العنيف للنفس .. هز أعمق .. هز للنخوة والأصالة العربية «أليس في دمنا قحطان أو مضر» ؟!.. كل هذا التعبير المحكم انما جاء من التحام النسيج الشعري وبراعة التنسيق المجيد .. ثم تأمل هذا القول الرائع في صورة حسرة وألم .. يتلو ذلك ...

هنّـــا وهـــانت جيـــاد الـــكبر وائتلـــقت
ملاحـــم الضبـــــاب المر تشتجـــــر

نعم هنا وهانت جياد الكبر يا غماري ، وساد من كان لا يسود !! حسرة وأية حسرة ، ومرارة وأية مرارة ، للذين يشعرون ويعقلون !!

وهذا التلاحق والتلاحم في الصور والمعاني .. هم من الطبيعة الغمارية في الصميم ، تلك الطبيعة النفسية التي تجعل من التركيبة الغمارية طلقات شعرية تصيب الهدف من قريب أو من بعيد ، فلا تبقى فيه ولا تذر ....

ويقول الشاعر من نفس الديوان ، ص : 47،48 ...

قسمـــا بقـــرآن الهوى ... يا أمتـــي
انـــا على الـــدرب الطويـــل دمـــاء
وقوافـــل تمتـــد .... تختصر المدى
فيـــذوب في الـــعشق الخضير حداء
يصحـــو بنـــا حلـــم .... فملء دمائنـــا
نار .... ومـــلء لهاتنـــا أضواء

ونلاحظ دوما هذا الانسجام والمتلاحم المتكامل ، فهذه التركيبات القصيرة التي تتناسق وتتجاوب في هدوء مركز ، تتفق هي الأخرى مع هذه القافية الجليلة التي تمتد في قوة ورزانة .. هذه الجمل الشعرية المتوالية : «قسما بقرآن الهوى» «يا أمتي» «يصحو بنا حلم» «فملء دمائنا نار» «وملء لهاتنا أضواء» الخ ...

هذه العبارة الهادئة المناسبة .. تتلاءم نسبيا مع تلك القافية الممتدة أيضا .. مما يجعل أداها يستريح اليه السامع ويتقبله الذوق الموسيقي الرفيع ....

ويقول ...

حلمـــي على هضبـــات وعـــدك مورق
والوجـــد في ظمـــا العيـــون تألـــق
يا ألـــف وعـــد ... ما كتـــمت حدوده

الا وتفضحني العيـــــون فأشهـــــق

....

يا شمخـــــة الزيتـــــون ... يا همامتـــــه

عبثـــا تطـــاولك النجـــوم وتلحـــق

وتمللـــــوا ... فعلى الشفـــــاه تساؤل

مر ... يـــــعثره الضبـــــاب الأزرق

تتوالــــد الـــــنيران في أجفـــــانهم

شبقـــا .. عليـــه من الغبـــاء تأنـــق

فها نحن أمام دفقات وجدانية متفجرة قوية .. تتسارع فيها ضربات التوتر وتتدفق المشاعر ، انسيابا شلاليا غزيرا ، تتحطم فيها فواصل التركيب ... وتندمج وحدات تركيبية متشابكة ، إنها موجات عاطفية وشعورية ، موجة تدخل في أخرى ، سلسالا شعوريا متواصلا .. أضف الى ذلك تلك القافية التي يشيع صداها في القصيدة فيكون جوا موسيقيا موحدا ....

فالتركيبة الغمارية ذات خصائص متعددة .. تغلب عليها جميعا «خاصية التوتر» والانفعال الحاد ... وان كانت تتلون بألوان التجربة النفسية ، مما يؤكد معايشة الشاعر لتجاربه النفسية من جهة ، ويقظته الشعورية أثناء العملية الشعرية ...

كما يؤكد العلاقة التناسبية بين الشكل والمضمون الشعريين ، لدى الغماري ، الذي برهن فعلا عن وعيه الشعري ... مما يسفر عن موهبة شعرية فذة مستكلمة الأدوات .. تتجاوب وأبعاد الكلمة الشعرية .. بأعتبارها موقفا وقضية ...

ولعل خير ما يبين عن قدرة الشاعر في صناعته الشعرية وتحكمه في وسائله المختلفة .. وتلاحم التركيب تلاحما قويا .. يجعل من القصيدة انتفاضة عارمة محتدمة .. تتجاوب فيها الأجراس الموسيقية تجاوبا

شديدا .. يتوافق ووزنه الشعري .. توافقا يجعلك تطلق العنان لصوتك حين الالقاء الشعري .. ولايقف الا ليعلو ويمتد قويا ويستنفذ كل طاقتك الصوتية .. حيث ترتفع الموجات الشعورية ارتفاعا عموديا حادا .. مما يعكس بحق ، التعامل الإيجابي تأثيرا وتأثرا ...

كما تتوفر الى ذلك المباشرة الموسيقية الظاهرة التي تحرك الأوتار النفسية تحريكا قويا .. وذلك لارتباط التجربة النفسية بواقعية الحدث ومباشرة الموضوع ، وارتطام النفس الشاعرة ارتطاما عنيفا حادا بفعل انعكاسي مضاد .. وذلك حين تؤذى «اللغة العربية» لغة القرآن ، في موقف «ما» ، فيتجرد الشاعر عملاقا ثائرا متحديا ، لا ينتظر ولا يتردد ، ولايوجس خيفة من عاقبة أمره ...

ينعـــاك ينعـــاك من كان بالأمس ينعانـــا
نحن الغريبـــــان ياسمراء وجدانـــا
إن لم نعانـــق هوانـــا عبر تذكـــرة
غضبـــي الملامح ...لاكنـــا ولا كانـــا
ينعـــاك ينعـــاك من زمت عواطفـــه
«شرقـــا» وهـــامت بلحـــن السين اذعانـــا
وقـــد لمسنـــا زفيرا منـــه يحرقنـــا
لو يستطيـــع .. وطرفـــا منـــه يقلانـــا
وقـــد قرأنـــا «هراء» ظل ينشرنـــا
كما تشاء سنـــون القحـــط ألوانـــا
باعـــوك .. باعـــوك يا سمراء فانتـــفضي
أم الفتـــوح ... ظلام الزيـــف يغشانـــا
ومـــزقي كفـــن الأيـــام ...ظامئـــة
جيـــادك السمـــر أبعـــادا وفرسانـــا
يثـــور في دمنـــا ركض الجيـــاد وان
طال المدى ننتخـــي «فهـــرا» أو «حسانـــا»

ويستمر الشاعر في مثل هذه القوة والحرارة ، ويتفجر عبر القصيدة حسرة وألما مدويا أركان الوجود ...

لو تستطيـــــع الليـــــالي أن تمد يدا
لذبـــح الـــدرب أطيـــارا وألحانـــا
سمراء أنت الهوى ينثـــال من دمنـــا
سحقـــا لعبـــاد أوثـــان وكفرانـــا
«محمـــــد» قالها بيضاء مزهـــرة
حجـــة الله لا الطاغـــوت ترعانـــا
يفيئـــــى كل جريح خلـــــف رايتها
فيزهـــر الجرح بالآمال بستانـــا

ويربط الشاعر هذا الموقف بالعقيدة الاسلامية .. فأبدع في ذلك الى حد بعيد ...

اذا عقيدتنـــــــا ديست كرامتها
سنستحيـــل على الطـــاغين بركانـــا
ما أروع الـــروع نفنـــي في مجامـــره
ويـــا غبـــاوة من رأى ومـــن خانـــا

والشاعر موفق اتم التوفيق في اختيار القالب الشعري الذي صب فيه تجربته الشعرية ، سواء كان ذلك بالنسبة للقافية أو الوزن .. وقد لمسنا مثل هذا التوفيق في ما مر معنا من شعره ، فحين كان الموقف موقف ثورة عاصفة .. وجدنا الشاعر يجند كل طاقاته الوجدانية والفكرية والتعبيرية من أجل احداث رجة شعرية قوية ، حين تطلب منه الموقف «النفسي» «الشعري» الرقة والانسيابية .. وجدناه يلج القلوب منسابا في حركة خفيفة وامتداد انسيابي رفيق ...

فالشاعر قادر على النجاح .. قادر على التأثير .. لأنه قادر على التعبير المناسب في الوقت المناسب ..

وها نحن مع الشاعر من جديد وهو يرسل تلك الأنة الشجية معبرا عن موقف حزين .. هذا الموقف الذي يتمثل في التعاطف مع رجال الحركة الاسلامية المصرية .. فاستمع اليه .. وتأمل كيف يلج القلوب ويخلخل النفوس ...

كلمـــــات البراءة المصلوبــــــة
ثرن في خاطـــري فهجـــن كروبـــه
العيــــون التـــــي تماوج فيها الـــط
ربـــــاتت من طهرهـــــا مسلوبـــة
والشفـــاه التـــــي تهاجـــر بالقـــر
آن ... تروي على السكـــون غريبـــه
شلهـــا الصمت فهـــي قصة جرح
تتــــوارى خلــف السجـــون كئيبـــه

وإذا كانت قصيدة «الى ناعيك ياسمراء» قد تميزت على الخصوص بالثورة الجامحة والقوة الظاهرة والموسيقى الصارخة .. فليس معنى ذلك مطلقا أن البنيوية القوية هي من سمات التعبيرية الجوفاء ، فهو ليس بشاعر مناسبات ، وحاشاه .. ولا يمكن أن يكون كذالك لو أراد .. لأن المسألة مسألة سليقة وطبع .. قبل كل شيء .. والأولى من ذلك جميعا .. أنه كثيرا ما تحتلم الأجراس وتصطخب الإيقاعات في المواقف التي هي قمة العمق النفسي والفني والفكري .. فيجمع فيها الشاعر الى جمال الصياغة وقوتها جلال المعاني وعمقها ودقتها ، مما يؤكد بما لم يبق معه سبيل الى الشك في أصالة الشاعر وطبعه المتحمس المركز .. هذا الطبع الثائر المتطلع أبدا الى الأفضل .. فالقصيدة العمودية لدى الغماري أصالة فنية .. زيادة على أنها موقف فكري نضالي مركز تتحد فيه الذات بالموضوع وتترامى الآفاق بعيدا .. حيث تتجاوز الحدود الوهمية التي يرسمها المشاغبون لها .. ويودون أن يجعلوا منها قفصا حديديا محددا .. يتقيأون عليه كلما أحسوا خيبة أمل أو فشل ريادة ...

وأعتقد أن مجرد الكلام النظري لايفي بدلالة .. فالى شاعرنا .. في إحدى رائعاته ...

الليـــل دوي في المسامـــع والحنـــا
يا .. آه ما أقسى الظـــــلام حدودا
تمتـــد حشرجـــة السنين بمهجتـــي
تمتـــد ... يرويها المساء قصيـــدا
تتناثـــر الأشواق من أهـــدابها
خرساء .. تهوي كالخريـــف جليـــدا
تمتـد .. ملء دمـــي وملء خواطـــري
كانت .. وكانت كالصبـــاح ورودا
أسكـــرت منها خضر أيامـــي .. وكم
وكم برعـــمت منها روضة ونشيـــدا
يا سارق الأنفـــاس في ترديدهـــا
أتـــراك تنعـــم بالضيـــاء وبـــالهوى
ويـــداك تورق بالفنـــاء وعيـــدا
الجوع بعض هبـــات كفـــيك ... يا مدى
مـــا مـــاج الا مأتـــمـــا ..... ولحودا

الصورة الشعرية

ـ ماهية الصورة الشعرية :

الصورة الشعرية ، هي عبارة عن وسيلة فنية ، يوظفها الشاعر من أجل أداء وظيفة معينة ، أو فكرة «ما» .. ضمن عمله الفني .. فأهميتها تمكن اذن في وظيفتها الدالة بالدرجة الأولى .. وأساس مقياسها انما يكون بحسب موقعها من العمل الفني ، كما يراعي بدرجة هامة وخطيرة تناسبها مع غيرها من الصور والمعاني بالنسبة للعمل الشعري بوصفه وحدة فنية متكاملة ..

واذا انطلقنا من مفهوم أن الوسائل الفنية هي وسائل مجندة من أجل غاية هادفة في العمل الشعري .. فان القصيدة الشعرية هي تعبير عن موقف نفسي عام أو خاص بالنسبة للشاعر ، فاذا تنافرت الصورة مع بقية الصور أو بقية الدلالات الفنية .. كان ذلك مدعاة للاخلال بوحدة العمل الشعري .. لأنه يخل بوحدة الخيال والشعور والتفكير .. ويؤدي ذلك الى تداخل أجزاء العمل الفني واضطرابها بصفة جامعة .. وهذا من شأنه أن يظفي طابع التشويش والقلق على المضمون الشعري ..

الصورة الشعرية وسيلة هادفة :

والصورة الشعرية اذا لم تكن احتواء هادفا .. لمضمون معين مقصود .. هي في الواقع رسم بليد ، وركض وراء الاغراب والغموض الجاف والشطط السرابي الضال .. وهذا بكل يقين لا يعد من العمل الشعري في شيء .. بل أن الركض وراء الصورة الشعرية كغاية في حد ذاتها عبث لاطائل وراءه .. كما يدل هذا بالدرجة الأولى على ضبابية الرؤية الفكرية والشعرية معا .. كما هو الشأن لدى الكثير من الشعراء المعاصرين «في الشعر العربي الحديث تتنافر الصورة وتضطرب أحيانا حين لا تتضح الرؤية الشعرية ، فيلجأ الشاعر الى ذكر صور متتابعة لا تتضافر على فكرة أو شعور» .

أهمية الصورة الشعرية :

والواقع أن أهمية الصورة الشعرية تكتسي خطورة بالغة .. بالنسبة للعمل الشعري ، لأن الايحاء والتصوير اذا انعدما في القصيدة صارت نظما وفقدت روح الشعر .

لأن العمل الشعري لا يقصد به مجرد التعبير [2]«بل رسم صورة لفظية موحية مثيرة للأنفعال والوجدان في نفوس الآخرين .. وهذا شرط العمل الأدبي وغايته به يتم وجوده ويستحق صفته» .

فالصورة الشعرية ذات قيمة أدبية هامة ، لأنها وسيلة معبرة مؤثرة وموحية ، تفوق بكثير الصورة التعبيرية المباشرة [3]«والصورة التعبيرية الإيحائية أقوى فنيا من الصورة الوصفية المباشرة ، وأن للايحاء فضلا لا ينكر على التصريح» .

في النقد الأدبي الحديث ، ص : 377 : غنيمي هلال .

1) 3) .. في النقد الأدبي الحديث صفحات :399 — 451 — 376 ، غنيمي هلال .

2)..النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص : 40،68 ، سيد قطب .

اذن فالصورة الشعرية ذات اهمية وخطورة ، ليس هذا بالنسبة للفكرة والمعنى المنفرد ، فحسب بل على مجموع الكيان الفني ذلك أن الصورة كدلالة فنية جزئية تصاحب الانتاج الأدبي على شكل صور متكاملة أو صورة متكاملة ، وبهذا أو ذاك تغمر الأثر الفني بجو فني موحي بليغ [1]«قوة الشعر تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردة» ..

الصورة الشعرية كيان متكامل :

إنما تتكون الصورة الشعرية بطريقة تدريجية تكاملية آتية من تضافر الدلالات الفنية المختلفة للألفاظ والعبارات [2]«وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة يلحظها الحس البصير حينما يوجه اليها انتباهه» .. فالألفاظ بخصائصها الفنية المختلفة، إنما هي وسائل جزئية في طريقها نحو الاتحاد والتكامل ، بفضل عمل الشاعر التنسيقي المهذب والمنظم .. حيث تنتج أخيرا كلية أوجزئية متآلفة متحدة نحو غاية فنية مقصودة .. كما يلعب الجرس الموسيقى والايقاع المنظم المنغم والظل الموحي دورا أساسيا فعالا «فخصائص اللفظ كلها تنطبق على العبارة ويزيد عليها التنسيق الذي يسمح لكل لفظ بأن يشع شحنته من الصور والايقاع ... الذي يؤلف ايقاعا متناسقا بين الألفاظ وظلالا متناسقة كذلك من ظلال الألفاظ»...

ومن هذا وذاك جميعا .. نقرر أن الصورة الشعرية الناجحة ، ليست هي الصورة التهويلية الضبابية الجامحة التي لا يقر لها قرار ، والتي تختلط فيها الأبعاد وأبعادها .. بشكل مضطرب وتغيب فيها الملامح والمعالم الأساسية وتتضارب فيها المشاعر فتصير ضربا من المغالاة والهذيان المحموم .. والهستيريا الراجفة ..

---

1).. في النقد الأدبي الحديث صفحات :399 — 451 — 376 ، غنيمي هلال .

2)..النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص : 40،68 ، سيد قطب .

بل الصورة الناجحة في نظرنا ، هي التي تحتضن مضمونها الفني ، تمثله أقوم تمثيل .. جمالا ووضوحا .. وتسير مع التجربة الشعورية سيرا طبيعيا .. متلائمة مع غيرها في كل ذلك غير شاذة أو منحرفة . عن الجو العام للتجربة النفسية ..

وعلى هذا الأساس من الوضوح التام ننطلق الى دراسة الصورة في شعر مصطفى محمد الغماري ..

الصورة الشعرية في الشعر الغماري

إن الصورة الشعرية لدى الغماري .. هي الصورة الواعية بموقعها الفني .. متلائمة مع بقية الدلالات الأخرى تسير نحو غاية مقصودة هادفة .. فليست هي اذن بالنافرة المنحرفة .. ولا بالغامضة الموغلة في الضبابية ...

فالصورة الغمارية على أدق تعبير ، هي تمثيل هادف وواضح ، يتجه نحو غاية بذاتها لايحيدها .. وليست هي ترف زخرفي .. وتلاعب فني يراد به مجرد التضليل والتلويح الى أبعاد سرابية قاحطة ... يستعين عليها الشاعر بوضوح فكري مركز ووعي فني مدرك .. وحاسة فنية بارعة .. تكثف الدلالات وتوحد الاشارات موجا ايحائيا بارعا .. ودلالات فنية دقيقة يقظة .. وهذا مما جعل ظلال الألفاظ تتوحد لرسم صور جزئية هي في طريقها الى صور متكاملة .. وليس أدل على ذلك من انتاج الشاعر وحده .. فالى انتاجه .

يقول الشاعر في ص : 72 و 73 «أغنيات الورد والنار» :

تتثاقـــــل الأيـــــام في أعماقنـــــا
كسلى .. ويطوينـــا الفـــراغ المطبـــق
ونلـــــوك من سقـــــم الحديث قشوره
ونظـــــل نوغـــل في الحديث .. ننمـــق

صور كما يهوى الفـــــراغ ثقيلـــــة
صفـــراء يصلب في رؤاهـــا المنطـــق
تفتـــر عن مثـــل ابتسامـــة ساخـــر
أيامنـــا .. ليلاينـــز .....فنرهـــق

إنه الهروب السلبي من الواقع .. والشعور المطبق بالخيبة والانهزام ؟!!

ونعود الى تحليل هذه الأبيات ، لنوضح ما ذهبنا اليه فيما سبق من الحديث .. «تتثاقل الأيام» .. إنها ثقيلة كالجبال .. بطيئة في سيرها .. «لفظ يرسم ظلا» ثم «كسلى» ظل ثاني يقابله ويتحد معه لأنه يؤكد معناه وظله .. ثم «يطوينا الفراغ المطبق» هذه عبارة ترسم ظلا كاملا .. يقابل الظل الأول الآتي من اتحاد الظلين «الأول والثاني» .. وهذه صورة جزئية ، لم تكتمل بعد .

بعد هذا نمر الى الجزء الثاني من الصورة «نلوك من سأم الحديث قشوره» انها الثرثرة الفارغة البليدة وهذا ظل من عبارة شعرية .. ثم جزء ثاني يقابله ويؤكده « ونظل نوغل في الحديث .. ننمق» انه الايغال السلبي في الثرثرة والهروب من جحيم الواقع الأليم .. بعد هذا يأتي اجمال مركز للصورة الشعرية .

صور كما يهوى الفـــراغ ثقيلـــة   يصلب في رؤاهـــا المنطـــق

ثم توكيد لاجمال الصورة من طرف آخر ...

تفتـــر عن مثـــل ابتسامـــة ساخـــر   أيامنـــا .. ليلا ينـــز .. فنرهـــق

وبهذا الأخير تكتمل الصورة الشعرية .. التي هي تمثيل لموقف نفسي وأداء لمعنى شعري .. تكاملت وتتابعت جزءا .. أدى فيها كل من اللفظ والعبارة دوره المنوط به ، كما كان لاحكام التنسيق والترتيب والتسلسل دورا بارزا وهاما في تكوين الصورة على هذا النحو ..

والصورة تتناسب مع غيرها من أجزاء القصيدة .. فالشاعر ــ مثلا ــ يهتف بعدها :

أحبيتي والدرب أغنية الهوى عقمت ، وقد تنمو الجراح وتكبر

أما في قصيدة «الوعد الحق» فيقول :

أنـــا نغمـــة خضراء .. يا أمداهـــا
هتـفت .. فجـن الـراكضون وحملقـــوا
وتململـــوا ... فعلى الشفـــــاه تساؤل
مر ... يبـعثره الضبـــاب الا زرق
تتوالـــــد الـــنيران في أجفـــــانهم
شبقـا ... عليـه من الغبـــاء تأنـــق

لكي نجلو هذه الصورة ، يجب أن نزيل كل الملابسات . نلاحظ أولا وجود طرفين متقابلين هما :

ا) الشاعر : «أنا نغمة خضراء ... هتفت ..» .
ب) أعداؤه : «فجن الراكضون وحملقوا ..» .

أنا نغمة خضراء .. هتفت !! ماذا حدث ؟ «فجن الراكضون وحملقوا» .. ونعود الى «وحملقوا» إنه يوحي بالشده والاندهاش .. فهم كانوا غافلين أوغائبين أو نائمين .. وعندما أدركهم فعل الهتاف ، ادركهم الجنون ، تخطفهم الاندهاش والمفاجأة .. من فعل النغمة الخضراء .. وهي «نغمة الاسلام» .. فالجنون هنا يأخذ مفهوما نسبيا بمعنى اللاوعي .. وهو على أوسع الاحتمالات يعني رد فعل معاكس عنيد عنيف ، وان لم يكن واعيا ..

فهم إذن إثر حدوث هذا الهتاف .. يردون فعلا مباشرا مضادا تمثل بعد ذلك في «تململوا» ، وهي حركة غير ارادية غير واعية ، وتتدرج الحالة ويتدرج الشاعر في مثل هذه الدقة الواصفة .. «فعلى الشفاه

تساؤل مر» .. انها الحيرة والقلق والألم اللاواعي ، فبعد الململة حيرة وقلق .. وهذه الحيرة وهذا القلق لأن مصير هذا السؤال كما عبر عنه الشاعر «يبعثره الضباب الأزرق» .. وكنتيجة منطقية لهذه الصفعة القوية «نغمة خضراء .. هتفت» .. فإن رد الفعل المنطقي «تتوالد النيران في أجفانهم» إنه رد فعل غاضب غير واع .. فهو «شبقا» .. شدة حادة ورد فعل عنيف ولكن «يبعثره الضباب الأزرق..» فهو نزوة وانحراف جامح .. ولأنهم يدركون ذلك فهم كما عبر الشاعر «عليه من الغباء تأنق» .. انهم مكابرون معاندون مشاكسون .. منتفخون بكبرياء جهلهم .. ولا غير ..

وهكذا على غرار ما سبق .. تجتمع الصورة متكاملة موحية .. تتحد فيها ظلال الألفاظ « نغمة خضراء» «هتفت» «فجن الراكضون وحملقوا» «تململوا» الخ ... وهذه هي الصورة الواضحة الواعية الهادفة ..

ويقول الشاعر في احدى قصائده :

أنـا طائـر رمت الريـاح بعشه
فانشل .. يطويـه الضيـاع ويـنشر
لهب السنين الجائعـات بريشه
ويـد الخناجـر في مداه تزمجر
تتدفـق الأحـزان في شريانـه
ويجوب السكـون عينيـه ويحفـر
ولقـد يثـور على الضيـاع ..
فيرتويـدرب بورد عذابـه يتسعـر

هذه صورة الضياع يرسمها الشاعر لنفسه ، والشاعر واحد من الآلاف .. إنها صورة عصفور طاهر بريء .. لا ذنب له غير الغناء والصداح ، ورغم هذا فقد رمت الريح بعشه .. فأصبح مشلولا من فعل ذلك ضائعا خائبا «يطويه الضياع وينشر» ويعبث به كما شاء . ثم

احترق ريشه «لهب السنين الجائعات بريشه» فهل له بعد ذلك من عزاء ؟! أي حياة لعصفور بعد احتراق جناحيه وريشه ؟! لم يبق له غير رمق ضئيل من الحياة .. فهو لابد أن يحاول الفرار ولكن «يد الخناجر في مداه تزمجر» .. دون جدوى .. انه الخطر يهدده من كل ناحية وموضع .. «تتدفق الأحزان في شريانه» .. فلا شيء غير الأحزان والآلام .. ورغم هذا كله فهو لا يستسلم «ولقد يثور على الضياع» وعبثا «فيرتوي درب بورد عذابه يتسعر» ..

انها صورة تعكس مدى الشعور بالألم والاضطهاد .. ومدى قسوة الواقع وسيطرته وتحكمه في مصير الحياة والأحياء ..

وما هذه الا أمثلة وجيزة للصورة الشعرية في انتاج الغماري .. ولمن أراد تتبع الصور الشعرية في انتاجه فله ذلك .. وقد يجد الكثير ، خاصة الظلال الجزئية والصور ذات البيت والبيتين ، وليس قصدي هنا أن أسترسل في تعديد الصور .. وانما اردت التمثيل لذلك ..



كلمة في الخيال

قد نختلف كثيرا أو قليلا في مفهوم الخيال ونوعه ونسبته الى العمل الفني .. ولكننا لن نختلف ــ قطعا ــ في كثير أو قليل .. في أن الخيال هو وسيلة من وسائل الشاعر الكثيرة يستخدمها بحسب موقعه وموقفه ومذهبه في فنه وفكره .

فما يحتاج اليه الفيلسوف من الخيال .. غير ما يحتاج اليه الشاعر الحكيم .. وما يحتاج اليه هذان غير ما يحتاج اليه الشاعر الرومنتيكي مثلا .. وقصدنا من هذا أن نبين أن نوعية الخيال ونسبته الى العمل الشعري .. يتوقف على حسب الغاية التي يهدف اليها الشاعر والمنهج الذي ينتهجه الى تلك الغاية ...

فلفهم النوع الذي يلزم لشاعر دون آخر .. يجب أن نفهم هذا الشاعر أو ذاك .. أي فهم شخصيته وعالمه الفكري والفني .. ومن ثمة تقرير نوع الخيال الذي يحق له دون غيره ..

ونحن لو تبنينا هذا الأساس .. فإن شاعرا مثل الغماري ، واضح في فكره وفنه .. فهو ليس بحاجة الى الخيال التطويحي البعيد .. ولا هو بحاجة كذلك الى الخيال الضبابي التخريفي .. وانما هو دون شك .. في حاجة ماسة وأكيدة .. الى الخيال الواعي اليقظ المركز .. الذي يجلو الابعاد ويقرب النهايات ويوضح العلائق وطبائعها .. ويبرز كوامن الأغوار والأعماق الضاربة في الدقة والعمق .. لأن انتاج الشاعر الغماري يتوفر على المضمون الروحي والفكري الى أبعد حد ...

والذي على الشاعر بعد هذا .. هو حسن استخدام ذلك وتقديمه .. تقديما لائقا رائقا .. وليس معنى هذا أنه يزجي بضاعة جاهزة .. أو يقدم ناتجا مقررا .. ولكن معناه دون لبس أو غموض ، أنه ينطلق في بعد واضح ويرتكز على حقيقة ثابتة .. فدوره انما هو دور الذي يتعمق ليجلو ويغوص ليسبر أغوار الحقائق .. هذا على صعيد المضمون الشعري .

أما ما يتطلبه الجانب الفني .. فهو تلك اليقظة الحادة .. بل تلك الحيوية الفاعلة .. والتي هي من خاصيات الغماري كما أشرنا سالفا .. فلشاعرنا حظ وافر وقدر كاف .. فقد كان على دقته وعمقه واعيا يقظا بكل ما حوله .. في صوره ومعانيه وافكاره وفنياته المختلفة ...

وحسب شاعرنا هذه الملكة الفنية «العملية» .. التي تتراوح أبعادها أبعادا فسيحة على طول امتداد الآفاق الفكرية والفنية ...

خلاصة ثانية

نعود في هذه الخلاصة الوجيزة .. الى استخلاص النتائج التي توصلنا اليها .. فيما سبق من حديثنا عن التركيب الشعري والصورة الشعرية والخيال ولست أريد في هذه الخلاصة أن أعود الى التوضيح والاستدلال .. بل أكتفي بعرض النتائج التي أراها مهمة في ذلك ...

ا) التركيب الشعري :

يتميز التركيب الشعري لدى مصطفى الغماري .. بعدة ميزات نذكر منها على وجه الخصوص ما يلي :

1 ــ التركيب التقليدي :

قد مر الشاعر بمرحلة تقليدية أولى .. كان لها أثرا واضحا في بعض انتاجه ، وهو قليل جدا نسبيا .. إذ أن الشاعر مر الى الطور الثاني في مدة وجيزة نسبيا ..

2 ــ التركيب الاستقلالي التحرري :

وهو تركيب امتاز على العموم بالنجاح الكامل ، كما يغلب عليه طابع الانسجام ، فهو متلوّن بألوان التجربة النفسية مناسب لروح الانتاج الشعري عموما .. مما يؤكد معايشة الشاعر لتجاربه النفسية وتجاوبه معها تجاوبا كاملا .

3 ــ ظاهرة التطور السريع :

إن التركيبة الغمارية سرعان ما تطورت ، متماشية مع الانتاج بصورة مطردة .. وبالتالي تخلص من مرحلة «التأثيرية التقليدية» .. الى مرحلة «الاستقلال والتحرر» .

4 ــ الأسلوب :

من خلال الدراسة التحليلية للتركيبة الغمارية .. تبين لنا تميز الأسلوب في شعره .. هذا التميز الناتج عن تفرد الوسائل التعبيرية الجزئية كاللفظ والتركيبة .. ثم تميز الرؤية الفنية والفكرية ...

5 ــ سمات جديدة :

من خلال الدراسة الفنية للتركيب اللفظي والشكلي للمضمون الشعري .. برزت معالم أبعاد عالم فني خاص .. ذلك أن العلاقة التناسبية بين الشكل والمضمون سائرة في اطراد متوازن نحو سمات جديدة .

العلاقة بين اسلوب الشاعر ومزاجه :

تميز أسلوب الشاعر عموما بانفعال حاد .. وهذا ناتج أساسا عن مزاج الشاعر ، الثائر المتوتر القوى ، الذي عايناه قبل هذا في مواقفه الفكرية ، ازاء صراعه مع خصومه ، كما يؤكد هذا من جهة ثانية عمق معايشة الشاعر لقضاياه النفسية والفكرية .. ومن هذا ينتج أن العلاقة بين الشاعر وأسلوبه .. علاقة ملتحمة «علاقة اتحاد الذات بالموضوع» ..

العلاقة النفسية بين الشكل والمضمون :

ثبت من خلال محاولتنا التحليلية ، تناسب التركيب الشعري ، مع الموقف النفسي والفني للشاعر .. مما يؤكد علاقة الشكل بالمضمون «التناسبية» ..

ب) الصورة الشعرية :

تميزت الصورة الشعرية على العموم ، بأنها صورة محكمة واعية هادفة ، خالية من الغموض والشطط والسرابية السلبية ، وهذا يعود أساسا إلى وضوح الرؤية الشعرية والفكرية .. والتي هي أساس قاعدة البناء الشعري .. كما أنها تميزت على صعيد تكوينها الداخلي بما يلي :

1 ـ صورة ذات ظلين متكاملين في بيت واحد ، وذلك كقول الشاعر :

وجوعـوا الشعب حتـى صار مدرجـة
للعابريـن وأضحـى العـرى مأواه

أو كقوله :

يا إبـن الوليـد ضبـاب وجـه حاضرنـا
وظلمـة .. في مداهـا ينتهي الـبصر

أو كقوله :

أنـا .. وأنحنيت على التراب .. أضمـه
في الـدرب قصة فارس وحصان

2 ـ صورة ذات ظلال متكاملة في بيت واحد ..

بعيـد عنك .. راحلتي تجوب الليـل والسفـرا
تآكل خطوهـا في الغربـة السوداء واندثـرا

أو كقوله :

غدى ما عاد يغريني .. وكم يغرى الغد الخضل
تعـرى وجهـه فالليـل من عينيـه ينتهل

أو كقوله :

ونحن عبر المدى المصلـــوب أغنيـــة
تلملـــم الليـــل ... من عينيـــه تعـــتصر

3 ـــ صورة شعرية ذات ظلال متكاملة في أكثر من بيت :

وأعصر يا أغـــاني الضوء .. أشرب نار الآمي
وتيبس في دمـي رؤيـــاي تصلب في أحلامـــي
وتنـــبت غربـــة وحشيـــة تغتـــال أنسامـــي
وكم غنت على ظمـــا بنـــار الحرف أيامـــي

4 ـــ صورة ذات ظلال متكاملة في عدة أبيات :

يا درب طالت في دجـــاك أظافـــر
حمر .. تعربـــد في دمـــي وكيـــاني
وانـــقض في جفنـــيك وهـــم سادر
متسكـــع عاري الضمير أنـــاني
ويفـــح في شبـــق الليـــالي شهـــوة
تغـــريك بالألفـــاظ والأوزان
يا درب إني والحبيبـــة غربـــة
خضراء كالأمـــواج ... كالشطـــآن ..

5 ـــ صورة وصفية تقريرية ولكنها معبرة :

تفجري يا أمتي ... فعروشهـم وهـم يشيـخ .. ولعنة شمطـاء

أو كقوله على روعته وجماله :

يا شمخة الزيتـون .. يا هاماتـه عبثـا تطـاولك النجوم وتلحـق

6 ـــ صورة ذات أجزاء متكاملة .. يستقل كل بيت بجزء :

قد كان لي حلـــم وحـــط علـــى ملامحـــه غـــراب
فتملمـــل الألم الذبيـــح دمـــا .. يصيـــح ولاجـــواب

7 ـ صورة ذات أجزاء متكاملة .. في كل بيت جزء :

سكر الضباب ونــاري العــ	ـطشى تلــوب .. ولا شراب
سكـر الضبــاب وفي دمــي	قاءت ثعــابين السراب
فيحــا صديــدا .. في ربيـ	ـعي أمطرت مطـر العــذاب
يا وردة .. بينـــي وبيــ	ـنك في الهوى المر انــتساب

إن شاعرا تتلون الصورة لديه ألوانا ، وتتعدد أنواعا وهي في ذلك معبرة هادفة ، لشاعر قدير عليها متحكم فيها .. متمكن من استخدامها وهو مطمئن واثق بنفسه وبها ..

وأمام هذه النتيجة التي نشيد بها للشاعر .. نتساءل فيما تبلغه الصورة مستقبلا لدى الشاعر .. وهل تتعدى البيت والبيتين والمجموعة الى الصورة التي تشمل القصيدة ؟؟.. كل الوقائع الحاضرة التي أحرز عليها الشاعر في وقت كهذا وجيز تنبيء بمستقبل مجيد لشاعرنا .. كما أن هذا المستوى الرفيع الذي حققه الشاعر ينبيء عن قوة كامنة وإرادة قادرة هادفة ..

لعل هذه المعطيات الخالصة .. تسمح لنا أن نتنبأ للشاعر بهذه الدرجة الفنية أي «الصورة الكلية» .. التي تشمل القصيدة كلها .. كما أن عوامل وحدة القصيدة لديه قد توفر منها الكثير .. ونترك الجواب للأيام وللشاعر عله يحقق الرجاء ...

جـ) الخيـــال :

أما الخيال فقد تميز عموما .. بأنه عملي جاد .. فهو خيال هادف واضح المنطلقات .. ينطلق في بعد معين .. كم يتبدى في تلك «الحدة العملية» اليقظة التي اتضحت في عمل الشاعر .. في صوره وتراكيبه وظلاله .. وليس معنى هذا أن الشاعر لايملك الخيال الواسع ، فقد ظهر في بعض أعماله ما ينبيء عن الخيال الممتد الرحيب .. غير أن منطلقاته الفنية والفكرية لا تتطلب هذا النوع من الخيال ...

معالم مدرسة فنية

خلاصة ثالثة :

اعتقد بلاشك .. أن النتائج الفرعية التي يتوصل اليها البحث .. تظل عديمة الجدوى .. إذا لم تستخدم للوصول الى نتائج أهم منها نسبيا ، بل ما هي الفائدة المرتجاة من النتائج الجزئية التي يتوصل اليها الكاتب أثناء تحليلاته الجزئية أو الكلية لموقف (ما) أو ظاهرة فنية (ما) .. إذا لم تتضافر جميعها على ابراز منحنى فني معين أو بلورة فكرة أو اظهار وجهة هامة .. فهذه الجزئيات أو هذه الثانويات .. هي في الحقيقة روافد لما هو أهم منها ، أو هي «مفاتيح جزئية» يستعين بها الكاتب للولوج الى أعماق العالم النفسي أو الفكري أو الفني ... وبحسن استخدامها .. تلقي الشخصية مقاليدها لتنفتح على مصراعيها واضحة بينة ..

وعلى هذا الأساس أرتأيت أن أعود من جديد الى نتائج الخلاصة الأولى والثانية .. بصورة مختصرة .. لنبني رأيا في جانب معين حول شاعرنا .. فان توصلنا الى رأي صواب .. فذاك ما سألنا الله .. وان خالفنا النجاح فحسبنا من جهد قد يفيد القاريء المتبصر بمواطن الخلل والزلل .. ونعتذر للشاعر وقرائه الكرام .. بحسن النية وصفاء الطوية .

ا) الصفات النفسية الفنية .. أي التي لها علاقة بفن الشاعر :

1 ــ شعور حاد يقظ .
2 ــ شجاعة الرأي وجرأة المواقف .
3 ــ روح التحدي والثورة .
4 ــ مواقف هجومية ، ودفاعية هجومية .
5 ــ اختلاط الأبعاد الزمانية واتحادها .
6 ــ اتحاد الذات بالموضوع .

فإذا أجملنا هذه الصفات .. قلنا إنه ذو شعور حاد يقظ ، شجاع ، جريء الرأي .. صاحب ثقة كاملة بالنفس .. لا يعرف التوسط في مواقفه .. فهي اما هجومية أو دفاعية كثيرا ما تتحول الى هجومية .. يرفض الحاضر ويتطلــــع الى آت خاص معين ..

ويجدر بنا هنا أن نتساءل عن مفهوم الثورة ؟ اليست هي بأبعد مراميها ومعانيها تقويض لأركان الحاضر المرفوض .. ثم بناؤه بناء جديدا قويا يختلف عن كل الواقع الحاضر .. على أسس ومفاهيم جديدة .. فشاعرنا من هذه المنطلقات .. دون مجازفة في الرأي أو اقحام للأحكام .. شاعر ثائر هادف .. صادق في فكره وفنه .. واع بحاضره متجاوز الى غاية ثابتة لايحيد عنها .. فهو ثوري ايجابي .. لأنه على الأقل .. يطرح رؤية شعرية جديدة وبديلا فكريا جادين ..

تابع الخلاصة (1) ...

ب) المميزات الفنية للغة الغمارية :

1 ــ لغة مباشرة تزول فيها الواسطة بين اللفظ والمعنى ..
2 ــ لغة ضوئية أو مشرقة موحية «شفافية» .
3 ــ أصالة اللغة .. فهي ذات خصائص غمارية متميزة .
4 ــ اللغة كائن حي .. فهي فاعلة منفعلة .
5 ــ وضوح المضمون الشعري .. القائم على الخيال العملي ووسيلتي التشخيص والتجسيد ..

6 ـ تكسر جداري الزمان والمكان اللغوي أحيانا .

7 ـ لانهائية الكلمة الشعرية .

فإذا نحن أجملنا النتائج الفنية على مستوى اللغة الغمارية .. أمكننا أن نقول بنوع من اليقين .. أن الشاعر مصطفى الغماري .. شاعر تميزت لغته بالمباشرة الفنية .. حيث تزول الواسطة بين اللفظ ومعناه .. وانها لغة ضوئية أي مشرقة موحية .. كما تميزت بأصالتها المنفردة .. فهي ذات خصائص غمارية .. منها أنها فاعلة منفعلة .. أي متجاوبة مطردة .. كما أنها فاعلة تجاوزت درجة الوعي الذهني المجرد .. فتكسر فيها جدار الزمـان والمكان اللغويين في كثير من الأحيـان .. وتظهر لا نهائية الكلمة مما يسفر عن انطلاقة فنية تتجاوز حدود اللغة السابقة له .. زيادة على أن القيم الشعرية تتشابك فيها تشابكا فنيا رائعا في كثير من الأحيان ولا يطغى على المضمون الشعري .. بل يزيده تمثيلا ووضوحا .. مما يدل بصورة خاصة على وعي بالشعر وقدرة على التحكم في الوسائل الفنية ومن ثمة التجاوز المركز الهادف لحدود التقليدية ..

الخلاصة الثانية :

النتائج الفنية على مستوى التركيب الشعري والصورة الشعرية ..

1 ـ تركيب تقليدي .

2 ـ تركيب تحرري ..

3 ـ تناسب العلاقة بين الشكل والمضمون ..

4 ـ الصورة الشعرية واعية وهادفة ..

5 ـ الصورة الشعرية متدرجة في طريقها نحو الصورة الكلية ..

6 ـ أسلوب شعري متميز ..

من كل الملاحظات المسجلة على الصورة الشعرية والتركيب الشعري . نخلص الى نتيجة واحدة لا نتعداها .. وهي أن للشاعر

مضمونا شعريا ورؤية خاصة .. اقتضت منه أسلوبا وطريقة خاصة في تعبيره الشعري ..

وإذا رجعنا مرة أخرى الى النتائج المحصلة على المستوى الفني للشاعر مصطفى الغماري .. فإننا نقول بدقة وتركيز : ان الشاعر مصطفى الغماري شاعر ثائر صادق في فنه .. هادف في رؤيته الفنية والفكرية .. ذو لغة شعرية مشرقة مبتكرة متميزة .. وذو أسلوب تجاوز به التركيب التقليدي الضيق ، الى الصورة الشعرية الواعية الهادفة .. والذي هو في طريقه نحو عالم فني وفكري خاص .

هكذا نخلص أخيرا .. الى أن البعد الفني لدى الغماري في طريقه الى مدرسة فنية جديدة ذات بعد واضح ورؤية شعرية خاصة متميزة في كل معالمها الفنية .. ولن يكتمل هذا البعد الفني «العالم الشعري» الخاص . الا بظهور البعد الفكري الذي يشكل عالما خاصا يسير جنبا الى جنب البعد الفني .. وهذا ما نهدف اليه في بقية المحاولة الدراسية ..

الانسيابية

مما لاشك فيه أن ظاهرة الانسيابية في شعر الغماري ظاهرة بارزة مستحكمة .. وهي ظاهرة بارزة ، لأنها تطالعنا في جل انتاجه .. وتقابلنا في معظم قصائده ، من حيث ما قابلناها .. وهي مستحكمة لأننا ندركها بالنظرة العجلى في شعره فلا نخطئها .. ونطلبها بالدليل والتحليل فلا نعدمها .. وهذا بكل بساطة لأنها تملك الدليل كيفما طلبناه .. فهي ظاهرة بارزة ومستحكمة لا يقف أمامها حجاب ، ولا يسدل عليها نقاب ..

نعم .. إن الانسيابية ظاهرة بارزة في انتاج الغماري . بل هي من أحق الصفات ثبوتا له .. لتوافر دلائلها .. سواء كنا نعني ان الانسيابية بمعنى انثيال الأفكار ، وتدفق المشاعر وانسيابها وانطلاقها الى آفاق واسعة مديدة .. وآماد فسيحة رحيبة .. أو كنا نعني بها غزارة الانتاج وتعدد مزاياه الفنية والفكرية .. وكثرة الانتاج ليست بالمزية المحمودة في حد ذاتها ، إنما الفضل في ذلك مع المزايا الفنية والفكرية الناتجة عن جودة القريحة وكرم النحيزة ، وانطلاق الخاطر ، وفسحة العالم النفسي والفكري ..

فإذا نحن انطلقنا على أساس المبدأ الأول .. فإنه يكفي أن نحيل القاريء الكريم على بعض القصائد .. ليتبين ذلك بنفسه .. ففي هذه القصائد التي اخترناها للقاريء الكريم قمة الانسياب أفكارا ومشاعر

ومعان .. وحسبك أن تعيش لحظات ممتعة رائعة .. لتدرك أن هذا قول حق .. ومن جملة القصائد التي نقدمها لذلك ما يلي :

ـ أغنية الشمس ..ص : 21 .

ـ أغنية العاشق المجهول .. ص : 125 .

ـ ياقارىء الضوء السخي ..ص : 103 .

ـ الى ناعيك ياسمراء .. ص : 75 .

الانسيابية وطول النفس

اذا كانت الانسيابية من وجهة أو أخرى دليلا على قدرة الشاعر .. فان لطول النفس علاقة أكيدة بذلك .. ذلك أن الشاعر القدير صاحب مقدرة على المد الواسع .. ولا يمكنه ذلك الا بطول النفس الذي هو ذو دلالات متعددة ومتكاملة . منها القدرة الفكرية والفنية والنفسية .. هذه القدرات التي هي في الأخير روافد الانسيابية .. التي هي تلك الطلاقة والشفافية والسهولة والعذوبة والامتداد .. الذي هو على عمقه ورزانته .. لايظهر عليه أثر الجهد .. ومشقة المعاناة في الأداء الفني .

تتغنى كأنها لاتغني من
سكون الأوصال وهي تجيد
لاتراها هناك تجحظ عين
لك منها ولايدرى وريد

رحم الله ابن الرومي رحمة واسعة .

ونحن لو رجعنا الى الجداول ، فانا نجد ذلك ماثلا لا يحتاج الى تدليل ، حيث اننا نستطيع تقسيم قصائد الشاعر الى قسمين :

القسم الأول : وهي القصائد مابين الـ 20 والـ 30 بيتا

القسم الثاني : = = = = = = = الـ 40 والـ 50 بيتا

هذا بالنسبة للجدول الأول ......

أما بالنسبة للجدول الثاني .. ففيه ثلاث مطولات ، أولاهما قد بلغت (365) بيتا وهي تحت رقم (1) . والثانية بلغت (114) بيتا وهي تحت رقم (2) . والثالثة وهي تحت رقم (3) .. ولاحظ تاريخ القصيدة الثانية 22 /78/01 وتاريخ الثالثة 78/01/25 !!.

أما باقي القصائد في باقي الجداول فقد تراوحت مابين الـ 30 والـ 40 بيتا ...

وهذا دليل ساطع يسجل للشاعر .. لا سبيل الى نكرانه أو نقضه على صورة من الصور .. فهو شاعر قدير ذو نفس طويل .. يتسم شعره بالانسيابية والغزارة .. مع سهولة واضحة .. كما أنه رغم طول نفسه وكثرة انتاجه متجدد أبدا سائر نحو غاية فنية واضحة وعالم شعري تبينت معالمه الأولى .. يعينه في ذلك وضوح ابعاده وكرم طبيعته الشاعرة ...

وإليك أيها القاريء الكريم بعض النماذج الأخرى ، والتي تؤكد ما ذهبنا اليه من الرأي ...

1» أسرار الغربة ، ص : 137 ..

2» هيـــلانا ، ص : 13 .....

ومن ديوانه (نقش على ذاكرة الزمن) ..

1» كان لي حـــلم ، ص : 73 ...

2» خضراء تشرق من طهران ..ص : 117 .. «أسرار الغربة»

ولا أريد أن أزيد أكثر من هذا في هذا المجال .. لأن ذلك يستدعي مني دراسة داخلية لقصائد الشاعر . وهذا مالا أريد أن أتعرض له في هذا الوقت على الأقل .. ولي رجاء أن أتناول ذلك في وقت لاحق غير محدد ...

أما اذا رجعنا الى الجداول المثبتة في هذا البحث . فإنا نجد أن انتاج الشاعر بدأ يصلنا في عام «73» .. وقد وصلتنا قصيدة واحدة منه ..

هي قصيدة (ثورة الايمان) ص: 70 في ديوانه أسرار الغربة .. وإذا تجاوزنا هذا العام . فان السنوات السبع التي قدم الشاعر انتاجها ولا يزال يقدم .. قد وصلنا منها (82) قصيدة موزعة في دواوينه . وان مجموعة كبيرة ــ في علمنا الخاص ــ لازالت تحت الطبع وهي :

1» قصائد مجاهدة .

2» ألم وثورة .

3» عرس في مأتم الحجاج ..

كما أن مجموعة أشعار محترمة ، لم يعلنها الشاعر بصفة اعلامية ..

وأمام هذه الحقائق الماثلة للعيان .. أقرر أن مثل هذا لم يتحقق لأي شاعر جزائري من المعاصرين .. أو من الذين وصلتنا أخبارهم في حدود تاريخنا القريب .. وحسبه ذلك فضلا يزيد في حسناته الى سابق فضله ويرجح كفته الى حد بعيد ...



الغماري والفكر المادي

الشاعر مصطفى محمد الغماري ، شاعر واضح المواقف والآراء والانتماء .. ويرجع هذا الوضوح رأسا الى طبيعة الشاعر الصريحة القوية الواثقة .. فهو متضح الوجهة الفكرية .. يطالعك بمبدئه وانتمائه في كل بيت من شعره وكل قصيدة وكل ديوان ...

ومن هنا جاءت طبيعة الموقف الواضح من الشيوعية .. لأنه صاحب اتجاه فكري مكتمل ومبدأ صريح .. يعلنه في شجاعة ويدافع عنه في اخلاص .. فلا يماطل ولا ينافق على عادة المنافقين الأفاكين ..

فهو صاحب رؤية فكرية اجتماعية وسياسية .. تقوم على نهج الاسلام الواضح .. فهو يناقض بنهجه الشيوعية عرضا وجوهرا .. وعليه كان الغماري رافضا للشيوعية قولا وفعلا وانتماء ..

ونتيجة لهذا الموقف الرافض .. حاربها محاربة الند للند .. فلم يراوغ ولم يخاتل ، ولم يقبل الهدنة على حسابه .. مهما كانت فداحة الخطر الذي يهدده أو يجره على أعدائه .. لأنه يعد خطرها خطرا حاقدا على الاسلام ، لا يستهان به . لكونها تحمل في طياتها بذور العداوة الباغضة على الاسلام .. فموقفه إذن من الشيوعية هو في صميمه دفاع عن العقيدة الاسلامية .. التي تضرب الشيوعية في مصدر قوتها

الايديولوجية .. بقدرتها الفائقة على استيعاب الحياة والكون بفلسفتها الشاملة ونظرتها الكاملة .. التي لا تقف أبعادها عند حدود الزمانية والمكانية الضيقة .. بل هي تهدف أساسا الى إقامة مجتمع انساني عادل .. وعلى هذا الأساس الجوهري المتين .. كان الصراع حادا مريرا .. وكان الموقف الجهادي الثائر الرائد للغماري يتطلب منه تعبئة كل الامكانيات الفكرية والروحية .. لمجابهة الخطر وفضح أولئك المتسترين الأدعياء .. الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على كل دخيل غريب .. في الوطن العربي والاسلامي الكبير ..

وفعلا استطاع الغماري أن يرتقي الى مستوى الأمانة والرسالة الاسلامية .. فكان سيفا من سيوف الله مصلوتا في وجوه أولئك المشعوذين الانتهازيين الرجعيين الذين لازالوا يحنون الى الاستعمار بكل شوق وهيام ..

كما كان عليه أمام هذا الوضع الجهادي .. والذي جعله أمام واجبه ومسؤوليته كشاعر اسلامي .. أن يضطلع بحقيقة الأمر .. وأن يدرك كنه هذه الدعوة المشبوهة .. والتي أكتشف أنها مجرد نزوة انحرافية .. لاترتقي الى مستوى نظام انساني يبني الحياة والانسان .. ومن هذا الأساس الجوهري العميق ، راح الغماري يكيل الصفعات والطعنات الجريئة الحادة لهؤلاء الأذناب المنحرفين ..

شيوعيـــة حمراء «تشفـــي غليلهـــم»
ولـــكنها تدمـــي القلـــوب وتظمـــيء

فهي مجرد نزوة حقيرة «تشفي غليلهم» .. تشبع نهمهم وحقدهم .. وان كانت تؤلم نفوسا وتجرح قلوبا ..

والشاعر بصير بمواطن الضعف والخلل في نفوس أولئك المنحرفين .. فهو يدرك جهلهم المطبق بالدين الاسلامي .. كما أنهم ساذجون تافهون الى درجة جعلوا فيها من «لينين» الها مقدسا يسجدون اليه .. ويقبلون

يديه .. مع أن فكره وفلسفته مجرد فوضى لاتقوم على نظام ومجرد أكاذيب وأباطيل لا قيمة لها ..

وما أنتم والدين «يا من ركعتم»
للينين .. والفوضى هنالك .. تعبد
وبسم يديه .. في صغار وذلة
وللزيف .. في أوهام لينين مشهد

ويزيد على ذلك في كشف حقيقتهم .. فيصفهم بأنهم جهلة ذوو عقول نخرة .. يضربون في ليل بعيد المدى لا نهاية له .. وأنهم يصدون عن كتاب الله المجيد ، لغبائهم وجهلهم .. وهو أحق أن يتبعه من كان بعقل سليم وقلب حكيم .. ثم يتحسر عليهم ساخرا .. لأن جريرة أعمالهم الرعناء .. ستحيق بهم نارا ويحموما .. ذلك أنهم هدموا وخربوا نفوس الاطفال والشباب الشريفة الطاهرة ودنسوها .. تلك النفوس التي استقت منابع الحكمة والهدى الرشيد من كتاب الله العزيز الحكيم ...

أيها الجاهلون ما اتفه العقل
إذا صد عن كتابي وولى
وبنيتم .. لكن هدمتم نفوسا
كم سقتها شريعة الله نبلا

وهو في مواجهته لأولئك الخصوم الشاذين المنحرفين .. يواجههم بمنطق أقوالهم وصريح ادعاءاتهم .. فهؤلاء الماجنون المارقون المنتفخون بكبرياء الغرور والضلال .. يزعمون ...

زعم الذين يململون سرابهم
يتخايلون .. كأنهم أمراء
انا صنعنا الرب من أوهامنا
ما الرب الا جبة خرقاء

الى هذا الحد وصل بهم الضلال والغرور .. أيها القريء الكريم ، لكنهم جهلة كفرة ، أوغاد أغبياء .. يلهثون جريا وراء كل خرافة وبدعة جديدة .. ووراء كل سفيه حقير ...

اللاهثـــــــون وراء كل خرافـــــــة
عصريـــــة ..يوحـــــي بها السفهـــــاء

وانهم فوق ذلك كله شرذمة لصوصية انتهازية حقيرة .. لا تمثل الا نفسها .. فلاهم بالماركسيين ولا بالعرب ...

حمر وقـــــــد بريء «المراكس» منهم
سمره .. وقـــــد رفضتهم الصحـــــراء

أولئك اللصوص الانتهازيون الأدعياء .. لا يكتفون بغيهم وضلالهم وجهلهم ونكرانهم للقيم الاسلامية الخالدة .. بل يناصبون الشاعر العداء .. ويعملون جهدهم على احباطه واحباط الاسلام والمسلمين ...

وتظـــل تجرحنـــي عيـــــون مرة
يقتـــــات من نظـــــراتها الانكـــــار

هذه النظرة الناكرة الحاقدة ، تناصب الشاعر العداء .. لأنها

تستمـــريء الأوهـــام في عهـــر الدجـــى
ويروقهـــا أن تكفـــر الازهـــــار

وكل هذا ... لأنهم :

يزني بهم شبـــــق بهيمـــــي الهوى
للعهـــــر في أهدابـــــه أوكار

وهكذا ظل الغماري .. عقبة كؤودا في وجوههم .. وجبلا أشم في صدورهم .. وسيفا صارما يجرعهم مر السطوة وأليم الطعنة .. وغصة خانقة .. ففضحهم وفضح أساليبهم وتعقبهم حتى باؤوا بالخسران الذريع .. زاده الله نصرا .

الغماري والأمة العربية

لقد تطور موقف الغماري من الأمة العربية .. على ما كان عليه .. فأخذ في الأيام الأخيرة من انتاجه الحاضر .. منحنى واضح الاتجاه .. فقد كان في بداية امره .. يؤمن بالوحدة العربية القائمة على وحدة المنظور الاسلامي .. الذي يقوم على أساس التشريع الاسلامي .. والذي يجعل من الوطن الاسلامي الكبير .. كيانا موحدا ارادة وطموحا ومصيرا ...

كان ينظر الى الوحدة العربية الاسلامية .. نظرة كل جزائري مسلم .. لايضع حدا فارقا بين العقيدة والنسب .. بل لا يفرق بينهما .. وعلى هذا المنطلق هللّ لهذه الدعوة الاسلامية الكبرى .. ودعا اليها وكله ايمان وحزم وعزم بها وبأهدافها النبيلة العليا .. فكان يرى أن مهمة الجيل هي بناء هذه الوحدة والقضاء على الأحقاد الطائفية والنزعات القبلية والاقليمية والقطرية ...

غضب الجيـــــل .. ثورة تتحـــــدى
لا دلال كمـــــا تـــــدل الحســـــان
غضب الجيـــــل أن تراه بنـــــاء
وحدويـــــا والتسقـــــط الأظغـــــان
عربيـــــا له على كل درب
ساعـــــد يتقـــــى وعـــــزة تصان

والشاعر كما قلت لا يفرق بين العرق والدين .. فهو يرى أن هذه الوحدة العربية يجب أن تبنى على أساس العقيدة الاسلامية .. لأن غضب الجيل الذي يتحدث عنه ، هو في حقيقة الأمر خلف الأولى «الأجداد الأوائل» ..

غضب للأولى رعاهـــــم كتـــــابي
وجنـــــوا ضوءه .. فكانـــــوا وكانـــــوا

غير أن هذا المفهوم الواسع المبسط .. سرعان ما أصطدم بحركات الأنظمة العربية الرجعية الانهزامية .. والتي اتسمت مواقفها جميعا بالسلبية والاجهاض العقيم لطموحات الشعوب الاسلامية .. وتأثر الشاعر لذلك بالغ التأثر وبدأ يشك في نوايا هذه الأحزاب ...

عرب نحن صحيـــــــــــــح
أم وجـــــــــــوه من خشب
وماقيـــــــــــنا قروح
غائم فيها الـــــــــــنسب

وبدأت خيبة الأمل تسري في نفسه .. واستمر الموقف العربي في هذه الانهزامية الساقطة .. وامتدت معها تلك الخيبة المؤلمة في نفس الشاعر ...

وانحدر العرب الى دون ذلك .. وسقط الملوك والأمراء الى الدرك الحقير .. وراحو يتراكضون — فناء — نحو هوة سحيقة بعيدة الغور .. وتخلوا عن التزاماتهم تجاه شعوبهم .. وانغمسوا في مستنقع الشهوات والملذات الوسخة ..

ليلنـــــــــا رقص وقصف
وسويعـــــــــات اشتهاء
ومواعيـــــــد خلـــــف

مات فينـــــا الكبريـــــــاء

مات فيهم الكبرياء .. وماتت فيهم الشهامة والمرؤة ، فأصبحت وعودهم وعهودهم بالعدالة والمساواة .. والتحرير والوحدة الكبرى .. مجرد ديماغوجية خرقاء .. ولف لا طائل وراءه .. واستحالت الى كذبة كبرى على أرض الواقع .. يفضحها الشاعر ...

قد سئمنــــــــــا من شعـــــــــا
رالحب والنـــــــــاس ذئـــــــاب
وسئمنـــــــا من بيـــــــوت الــــــط
هر والطهـــــــــــــــــر سراب
وسئمنـــــــا من حديث العـــــــــ
دل والنـــــــــاس عبيـــــــــد

وزادت هذه الوضعية العربية أكثر هبوطا ومأساوية .. حتى ظهر من يبيع القدس الشريف .. وهنا كانت صدمة اليقظة في نفس الشاعر ...

باسم السلام تبـــاع القـــدس عاريـــــة
والـــــــــرفض يرفضه رفض .. ويتهم

كلام في كلام .. الرفض يرفضه رفض .. وعلى الله البقية .. انما الأفعال بالأقوال .. ولا حول ولا قوة الا بالله وعلى القدس والاسلام السلام ...

وهكذا تردى الوضع .. الى هذا المنزلق الخطير .. ولم يعد الوطن الكبير غير حيرة كبرى .. وظلمة ينتهي في مداها البصر ...

يابــن الوليــد .. ضبــاب وجــه حاضرنـــا
وظلمــــة في مداهــــا ينتهي الـــــبصر

وليت الأمر توقف عند هذا الحد .. فقد صرنا عبيدا .. بيع الشعب .. وبيع الوطن .. وبيع العرض .. ولاحول ولاقوة الا بالله .. حين صرنا بضائع جاهزة تباع صفقات .

تنقــــاد في سوق شاريهــــا أعنتنـــا
يسومنـــا الـــذل من غالـــوا ومـــن كفـــروا

وهكذا وبكل وقاحة وقلة حياء .. تحولت القيادات العربية .. الارادة العربية القوية ، الى طعنة نجلاء في صدر هذا الوطن المسكين ..

وهكذا وبكل عار .. تحولت القيادات العربية الى «غول» سمسار «بطنه دار وقلبه نار» ، يبيع بلا حساب .. ويقبض بلا انتهاء .. واغتال الأمة العربية الاسلامية في أملها الكبير .. في حريتها وكرامتها .. وقداستها ..

أيها الـــــطير الذبيـــــح
بسيـــــــوف عربيـــــــة
مفعمـــــــات بالفحيـــــح
بالوعـــــــود الكرتريـــــة

هذه الطامة الكبرى .. هذه اللعنة الشمطاء .. صارت قوة ضاربة .. وتحولت الى سرطان رهيب ينهش جسد الأمة العربية .. ويغتالها في أعز رجالها .

أ«كمال» أي الناعـــــــين
القاتــــــــلين هواك غدرا
كم لوحـــــــا برؤى السلا
م .. وصفقـــا زيفـــا ومكـــرا
وتقـــمصا «عثمان» واقتطعـــا
«الحسين» دمـــا وفكـــرا

إنها القيادات العربية العمياء .. تتستر وراء السلام والحرية والعدالة .. لتضرب الأمة العربية في عمق قوتها .. وبهذا صارت لغة السلام لعبة حقيرة دنسة .. يمثل بها اللئام أدوار النذالة والحقارة والعمالة .. على أمة الاسلام والعرب ...

لغـــــة السلام حكايـــــة
تروى بما خور اللئـــــام

ولا عجب بعد ذلك .. أن يكون هذا الطريق ـــ هو السبيل الذي يقود الأمة العربية الى الخراب .. ويأتي على نهايتها شيئا فشيئا .. انها النهاية يا رجال ...

فاقشعـــــــــري ياعصور
بيـــــــــع ارثي بالمزاد

وبهذا الذي قدمنا .. نجد ثورة الشاعر على الانظمة العربية .. ثورة واعية .. متفتحة على حقائق الواقع ونتائج الممارسات المفلسة .. هذه الممارسات العميلة التي تشكلت في احتجاجات وندوات ومؤتمرات ولائحات كلامية سخيفة .. ضاربة عرض الحائط التزاماتها ومسؤولياتها المنوطة بها .. وبالتالي أدت الى سقوط القيم الاسلامية والاعتبارات المقدسة للأمة الاسلامية العظيمة أمة الاسلام والرجال ..

وأمام هذا كان احتجاج الشاعر قويا وعنيفا :

اني برئت من الذيـــــن تقـــــاعسوا
والطهـــــر تصلبـــــه يد شوهـــــاء
والقـــــدس والجولان تجهش بالأسى
تعنولـــــه ... والقبـــــة الخضراء
والنيـــــل تغريـــــه الطبـــــول فيرتـــــوي
آها ... وتعـــــلك صبرهـــــا سينـــــاء

حين كان حكام العرب السفهاء يقضون .. الليالي الحمراء .. في قصور الخمور والزنى .. كان اليهود يتقدمون خطوات سريعة في البقاع المقدسة ويعيثون فسادا ورجسا في مقدسات الاسلام انها المأساة الرهيبة في كل الوطن العربي الاسلامي الكبير .. انها المؤامرة الكبرى على المقدسات والارواح ..

في القــدس .. في الصحــراء تبكــي طفلــة
حلمــا كأوراق الخريــــف بديــــدا
وتسومهــــا سود الريـــاح فتـــرتمي
آها على شفــــة الأسى مهــــدودا
في القـــدس .. ايــــه يا مآذن زمجري
وخـــذي من الألم الخضير وقـــودا

وهكذا فجر الشاعر موقفه النضالي .. على كل مظاهر الزيف والنفاق والعمالة .. والرجعية والانتهازية في كل الوطن الكبير .. فكان الشاعر يقف أمام جبهة عريضة ليشن هجوماته العنيفة والمركزة .. تضاف اليها جبهة أخرى لاتقل عنها في النفاق والخداع .. تتكون من عريضة مخلوطة من التقدميين والقوميين والطائفيين .. أولئك الذين يتسترون وراء المباديء والشعارات الثورية المزيفة .. لقضاء مآربهم وتحقيق أغراضهم ونزواتهم الصبيانية الحقيرة .. على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها ..

أولئك الذين يمثلون سرطانا أشد خطورة من سرطان الامبريالية والشيوعية الجهنمية .. لأنه يعيش في بطن الأمة .. ويعيث تمزيقا في بطنها .. أولئك الذين يعملون .. باسم ...

باسم الطريقـــــة والحقيقـــــة
والـــــوصولات الجليـــــة ....

أولئك الفاسدون المنهارون أخلاقيا وضميريا ...

أقسمت «باللوتـــيس» يغتـــا
ل بها العفــــاف عشيـــة
بالـــتراكضين .. كما الذئـــا
ب وراء «سلمـــى» أو «رضيـــة»
القابـــعين على الكـــراسي
الحمـــر أصنامـــا غبيـــة

أمثال أولئك الانتهازيين العابثين .. الذين انسلخوا من قيمهم ومبادئهم .. ولم يحددوا مواقفهم .. أمام هذه الأوضاع المتأزمة ..

أمثال هؤلاء يجلدهم الشاعر جلدة قوية .. تظل آثار السوط منها عالقة على أجسادهم البهيمية .. الى حيث تحين نهاية الأفاكين الوصوليين الانتهازيين .

متمـــــركسون على السمـــــا
ع ورافضون بلا هويـــــــــه
خضر ومـــــا عرفـــــوا الهوى
سمر .. وترفضهـــــــم اميـــــة

وبعض هؤلاء ... يودون لو يظل الوطن الاسلامي الكبير أجزاء متناثرة .. ليحلو لهم اللعب .. وليمثلوا أهم الأدوار الانتهازية انجح تمثيل .. وحقيقة أمرهم .. انهم يطبلون ويزمرون .. ويحشدون غيرهم .. لمفهوم غريب ...

وبـــاسم الطواغـــيت .. باسم العـــرب
نصلـــــي لـــــرب ورب ورب

بل هم يريدون بناء «دولة عربية» .. يحذف من حسابها الاسلام كمقوم أساسي .. لماذا ؟؟ لأن « المريكان » « والروس» يريدون ذلك لما يريدون ذلك ؟ هم أعلم!!!

نثـــور ولكـــن بسيـــف الوعـــود
ونغتـــال «خضراء» باسم الـــنسب

فالمسألة إذن واضحة المبنى والمعنى والمغزى ...

يقولـــــون : خضراء طرح غريب
وكم يسخـــرون كم نعـــجب

ويرفضونها لأنها هي ، وهي وحدها التي تحط امثال هؤلاء عند أقدارهم ...

والشاعر لايعجب كثيرا ـــ في موقف آخر ـــ من الذين يعتبرون (خضراء) طرحا غريبا لأنه أدرك الحقيقة مرة أخرى

وينعـــــاك ... لاعـــجب حين ينعـــــى
واشعـــــــاره في الحضور شعـــــــار

انه يطبل ويزمر ويرقص على رأسه .. لـ «حمراء» . فكيف لاينعى خضراء .. ولو لاعتبارات موقعية محضة .. ولو لخطفة انتهازية يفوز بها قبل أن ينتبه النائمون ... انه :

ويحسب أن القصيـــــــــــــــد لهاث
مضامينـــــــه في رمـــــوز الــــــيسار
واتضح البدر للسارى .. ياغماري .. ويايساري ....

وهكذا يتضح على طول الخط الجهادي الانتمائي الرافض للشاعر الغماري .. أنه كفر بالوحدة العربية المزيفة .. وانه ثار على كل انهزام .. فكان بشعره سيفا على كل الانهزاميين «التقدميين» «والقوميين» «والطائفيين»

وعلى هذا البعد الفكري الثائر الرافض يمتد الشعر الغماري ليعانق القمة الخضراء .. ممتطيا جواد الرفض .. لايأبه بوعر ولابمنحدر .. ورزقه على الله ....

الصوفية الغمارية

يقول المفكر الكبير : عباس محمود العقاد .. في كتابه : التفكير فريضة اسلامية :

«ان الاسلام قد وضع التصوف موضعه الذي يصلح به ويصلح من يريده .. فليس هو بواجب ولابممنوع .. ولكنه ملكة نفسية موجودة في بعض الطبائع لازمة لمن وجدت في طبائعهم .. والزم ماتكون حين تفترق مقاييس الأخلاق ومعايير القيم الروحية بينهم وبين مجتمعاتهم ... فان الفرد اذا افترق بينه وبين مجتمعه من هذه القيم . تجنبه بالرهبانية ولا رهبانية في الإسلام ، أو صاغ فضائله على وفاق ضميره وهو مقيم في مجتمعه لاحسيب عليه بينه وبين ربه .. وتلك هي شريعة الاسلام الذي لاسلطان فيه لمخلوق على مخلوق في طاعة الله» .

نستنتج مما سبق ما يلي :

1 » الاسلام لايمنع التصوف ولايوجبه

2 » التصوف طبيعة نفسية وملكة خلقية ..

3 » التصوف دلالة على افتراق مابين فرد ومجتمعه ...

فاذا كان الغماري متصوفا .. فليس هو بالضرورة رهبانيا . ولا رهبانية في الاسلام .. فلا حرج عليه اذن من الاسلام وأحكامه .. فالاسلام لايمنع التصوف ولايوجبه ولا حرج عليه بعد ذلك من نقد

الناقدين .. لأنه ان كان صوفيا فانما يلبي ملكة نفسية طبيعية «فطرة الله التي فطر الناس عليها» .. والذي لايكون صادقا مع نفسه ونوازعها .. لاحاجة للأدب والنقد به ...

غير ان ظهور هذه النزعة في شعره ، هي ذات دلالة أكيدة على أمر مهم وهو المفارقة الفكرية والروحية والأخلاقية بينه وبين مجتمعه ، وافتراق المقاييس بينه وبين معاصريه .. وهذا أمر واقع نؤكده ولا ننفيه ..

وبعد هذا الايجاز الهادف .. نعود الى «صوفية الغماري» .. وان كنا لانرى مايسمى بالصوفية .. بالمعنى الكامل .. ذلك لأن الصوفية عالم فكري وروحي متكامل .. ينعكس في الانتاج الفني للشاعر عالما شعريا كاملا .. وهذا مانؤكد انعدامه — على أهون السبل — في شعر الغماري .. ثم ان الصوفية ليست مجرد انتماء قولي يصرح به الشاعر .. أو يطلقه ناقد متحذلق .. لأنها ذات وجهة عملية تظهر في سلوكات أصحابها وأعمالهم .. مما لايترك مجالا للشك والتخمين ...

وليس الغماري بالرجل الزاهد المتقشف ، ولابالمتعبد المنقطع .. وانما هو يعيش في مجتمعه .. يؤدي واجبه .. ويجاهد بفكره وشعره .. ولم نعرف عنه مطلقا أي شذوذ انعزالي أو انطوائي أو أنه يمارس طقوسا من نوع (ما) غير الواجبات الدينية التي هي فرض على كل مسلم .. فاذا كان الجهاد بالفكر والقلم رهبانية .. يحرمها الاسلام ، أو شذوذا يغض منه المجتمع المعاصر .. فالغماري كذلك .

واذا كانت الثورة على الانهزام والمنهزمين .. كيفما كانت انتماءاتهم (دروشة صوفية بائدة) فالغماري كذلك .. ونحن ندرك بيت القصيد عند هؤلاء .. (الذين أرادوه أن يكون صوفيا) !!

ولكننا نعود لنقول ان الغماري ذو نزعة صوفية .. من حيث هو ملكة نفسية (لازمة لمن وجدت في طباعهم) وهي نزعة روحية الى ذلك العالم الديني .. الذي أقل مايقال فيه أنه عالم الطهر والصفاء ..وليست هي بالطابع العام يستغرق ملامحه النفسية والفكرية ....

هذه النزعة كان مردها الأساسي الى المفارقات الأخلاقية والاجتماعية بينه وبين مجتمعه .. وبدلا من أن تستغرقه هذه النزعة التي تغذيها تلك المفارقة الاجتماعية .. فتؤدي الى ضرب غريب من الانغلاق والتمحور حول الذات .. أو التغرب في عالم الخيالات والأبعاد الغريبة والأجواء السرابية .. جعلت منه ثورة متفجرة جارفة تصب جام غضبها على الواقع الفاسد والقيم المزيفة التي يراها على غير وفاق مع ضميره ومنطلقاته الفكرية .. وقد مرت معنا بعض مواقف الغماري الثائرة .. من كل المنافقين المنهزمين من كل لون وصنف ونوع ..سواء كانوا باسم الدين أو باسم غيره ...

فالشاعر كما لاحظنا يعيش خضم الواقع والصراع الفكري .. ويواجه المتناقضات والمفارقات في كل وجهة من مجتمعه .. وقد أحس مبكرا .. بمدى خطورة موقفه .. وبتحالف تلك الجبهة العريضة على قيمه وفكره وتطلعاته .. وبالتالي تنبه لسيطرة الواقع عليه .. وبأنه لايتمكن من زحزحته وتقويض أركانه ضربة واحدة .. فراح يجنح الى عالم عقيدته الرحب المتسامي .. ليعلن ثورته الجارفة .. لايناجي الأطياف والأحلام .. ومن ثمة دون ريب .. كان نزوع الشاعر الى العقيدة الاسلامية .. نزوع المتشوق المحاصر .. فكان هذا سر الاحتراق والاتقاد .. والوجد الذي تفجر حنينا وهياما .. جموحا وثورة ...

بعيـد عنك ... راحلتـي تجوب الليـل والسفـــرا
تآكل خطوهـا في الغربـــة السوداء ... واندثـــرا
بعيـــد عنك ... لانايـــا فيسعـــدني ولا وتـــرا
تماوج كرمـــه الصوفي في الأعمـــاق وازدهـــرا

فلا صوفية هنا .. غير «شوق الملاذ» بالعقيدة الاسلامية ... التي يود لو تعود «ليتماوج كرمه الصوفي» والدليل على ان موقف الشاعر هنا ليس موقفا تهويميا جامحا .. وانه موقف صمود ومجابهة ..

يقـال ... يقـال ... هيلانـا سراب في المدى نخر

بقايـا رحلـة خرساء ... ماغنـى لها وتـر
وبيت من قصيد الشعر ... لافكر ولا صور

فهذا الشوق المكبوت .. وهذا الحنين المتقد .. الذي يشبه شوق الصوفي في نزعاته ووثباته .. انما هو رد «فعل» مباشر وغير مباشر ، للذين حاصروه وفجعوه في أعز ماتأمل نفس .. وتلك أدهى على النفس وامر ...

يقال ... يقال ... «هيلانا» سراب في المدى نخر

والشاعر الذي يقول :

وروحـي باشراق الهدايـة يصدح
ويسعـدني في دفقـة النـور .. أنني
أرى اللـه في كل الوجـود ... والمح
أرى اللـه في الأزهـار نشوى ...وفي الهوى
وفي وشوشات الـطير تشدو وتمرح

فالذي يقول هذا ...ليس صوفيا حلوليا .. كما يتبادر الى الذهن المتعجل ، وانما هو يرد في نوع من التحدي على الذين يقولون :

يقولـون : ما الزمـان ؟ أيـن ومـا الهدى
كلام قديم ... ليس يجدي مهـزأ
ومـا ذاك ... والثـورات فتـح مقـدس
جديـد الأبـواب العقـول ...ومبـدأ

والذي يقول مخاطبا ليلى ... على لسان قيس :

قيس :ياألـف ملحمـة في الـدرب رافضة
تجمـر الفتـح مزروعـا بيمنانـا
يفهم عنه أنه يعني «ليلى» : «ألف ملحمة رافضة»
والذي يقول :

اللـه ... اللـه . في ليلى أتصلبها
ريح الصليب ... ومـا تصحـو بطـولاتي

يفهم عنه انه يتحدث عن «ليلى» : «العقيدة الاسلامية» .. ويحذر من خطر الصليب عليها .. بل يستصرخ الهمم للذود عنها «وما تصحو بطولاتي» !!

فهل بعد هذا تكون ليلى الغماري «ليلى ابن الفارض» رحمه الله .. والذي يقول :

«ليلى» وأحمل نار الهم في وتـــرى
اليك ... واختصر المدى ... فانتظري

انما هو يعد ليلى .. بأنه يختصر المدى بجهاده وكفاحه .. فالأمل كبير ... وان غدا لناظره لقريب .. وليس وعده ذهابا بلا إياب ..وسفر بلا مقر .. على ديدن الشعراء المناضلين في البحار والمحيطات ـــ انه الهدف الثابت والغاية الجادة.. فهل هذه الـ «ليلى» هيام ؟ بالسراب ..؟!!

والذي يقول :

أنـــــا أهـــــواك ... فانشر اللـــــه ظلا
أنـــــا أهـــــواك ثائـــــرا صوفيـــــا

فالذي يقول هذا .. انما يقول بصريح لاصريح بعده ..ان صوفيته ثورة وجهاد .. وما دامت ثورة وجهادا .. فلا حاجة أن تكون صوفية .. والتكن «وأعتصموا بحبل الله جميعا» انه الملاذ بحبل العقيدة الشامخ ...

والذي يقول :

لو قرأت القـــرآن ماكـــــنت الا ثائـــــرا
في الوجــــــــــــــــــود ينشد عدلا

أويقول :

في يدي مصحفـــــي ... اقـــــرؤوا تجدوا
فيـــــه لشتـــــى مشاكل الـــــعصر حلا

دون شك .. يدرك أن دين الاسلام دين جهاد .. وانه ثورة وبناء وتشييد .. وأنه تكوين مجتمع عادل .. وليس هو دروشة ودردشة سخيفة .

والذي يقول هذا ... انما يدرك ادراك دراية وفهم أصيل .. ان الاسلام دين الحياة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقضاء ...وان لم ينص صراحة على «شرطة الفبركة» و «مخترعات فيليبس» ...

فالذي يقول هذا .. يعي بلا جدال أن الاسلام نظام حياة .. وليس تهويمات ضبابية وهالات صوفية في لقاء «ليلى الصوفية» ..

واذا أردنا أن نقف على وجه المفارقة .. التي دفعت بالشاعر لأن ينزع نزوعا دينيا ثائرا ، فيه روح الجموح والتمرد .. على قيم مجتمعه .. فلسنا نذهب بعيدا من قوله :

أطـــوي حكايـــات القـــديم لعلنـــي
أجـــد الجديـــد مهدهـــدا اشجـــاني
ورحـــلت في عمـــق الجديـــد .. فللقـــذي
عينـــاي ...للشـــوك العـــقيم جنـــاني

وهكذا يتضح ولا حاجة لعبث العابثين .. أن الشاعر يرفض «جديد» عصره ، فهو لا يسير على وفاق مع ضميره ورؤيته الفكرية ....

وحتى هذه الغربة التي جعل منها بعض «المطبلين المزمرين» دليلا على سلبية الشاعر الهروبية .. وحسبها عليه نقيصة صوفية ــ هي أيضا ــ وجه المفارقة الرافض للحاضر .. ولا أكثر من ذلك .. ونقرأ أبسط أبيات الشاعر .. فيدلنا على ذلك .. ولسنا بحاجة الى الالتواء ــ على ديدنهم ــ لاستنباط الدلائل !

وتبقـــى أنت وجـــه الغربـــة الساحـــر
وتبقـــى أنت رمـــز الـــرفض للحـــاضر

فهل هذه الغربة انتحار على خارطة الاجساد المحروقة!! ، أم هي رمز للرفض الواعي تجاه الحاضر المنبوذ ؟ !

وحتى هذا الحب الذي هو نعمة على كل مخلوق .. جنى على الشاعر المسكين .. فأعتقده بعضهم «حب الصوفية» واعتبروه مطية الأشواق الصوفية .. وهو بكل بساطة .. يا مساكين !!

الحب يا وطنـــــــي بعـــــــد هو الاسلام
مجاهـــــــدون به لتـــــورق الأيـــــام

أنا أحب الله والوطن والاسلام .. وأحب أبي وأمي وكل أصدقائي .. فأنا صوفي كبير .. ورزقي على الله ... يا مسكونين ويا مساكين !!

فهذه النزعة الروحية الى حرم العقيدة .. وذلك الحب وتلك الغربة .. هي جميعا وليدة تلك المفارقة الاجتماعية .. وذلك الطبع المستعد للجنوح العقيدي .. متى توفرت أسباب ذلك .. فغربة الغماري انما هي غربة الجهاد الرافض .. غربة الثورة الرافضة المحتدمة التي تعتصم بحبل الله .. ولا تعتصم بسواه .. انها غربة الارادة الفذة المتفردة .. التي تؤمن بقيم ليست هي القيم السائدة .. وليست هي غربة البحار والأنهار .. وغربة البدو في «باغيس» ...

نعم ليست هي غربة الصناعة المعقدة في «المريكان والروس» ولا هي غربة التائهين في الأرض ، والحابلين بالاجهاض !!

تغـــربت عن موطـــــن الهوى
وللـــحب أغنيتـــي ... للوطـــن
ومـــا وطـــن العـــاشقين سوى
فواصل يخضر منها الزمـــــــن
فـــواصل مـــن ســـدرة المنتهى
تماوج فيها الغـــــد الأخضر

ولكي لا يعبث الأطفال بالمعاني المطاطة .. اليك أيها القاريء الكريم هذا البيت ...

تغــــــربت يا موطـــــــن الهوى
كسيـــف النبـــي جهـــاد وغربـــة

فما يفهم العقلاء من هجرة الرسول «صلى الله عليه وسلم» فالرسول ضاقت به مكة .. فهاجر من أجل نشر الدعوة في المدينة .

والغماري اشتدت به المفارقة الاجتماعية .. فلماذا لا يلتجيء الى حرم العقيدة المقدسة ليذود عن قيمه ومثله ؟؟ انها القدوة الحسنة للمسلم برسوله الكريم ...

فهل بعد هذا تحتاج غربة الشاعر الى أهل وصحاب وماضي وحاضر لتصير عودة وحضورا .. عودوا أنتم من الغياب الطويل .. كي تروا أن الشاعر هنا ..

وقد فات الاطفال الراكضين ــ للأسف ــ الأطفال المتلهفين على أخذ أول تذكرة من شباك الدعايات والاعلانات ، لينطلقوا على آخر نفس الى آخر محطة من محطات الاتهامات لقطار السفر الى «أغنيات الزمن الضائع» ..

•

فاتهم أن الغماري نفسه ثائر على الصوفية بمعنى من معانيها .. فاتهم ذلك وليتهم انتظروا قليلا ولم يسارعوا بخطف أول التذكرة ، فأرجع يا قطار الاعلانات .. ارجع فالغماري يقول :

تصوف القــوم في الـــوادي ... فمـــا برحت
لحى الـــدراويش ... تهوي صنعـــة الكـــذب
الشاذليـــون باسم الديـــــن كم شطحـــوا
وأوغلـــوا في مرايـــا الـــــعشق بالهدب
وزوروا الديــــــن اذكارا مسافـــــــرة
في الصحـــــو والمحو والاشواق والــــرتب

ولكن القطار لا يعود ويصطدم الأطفال الناقدون بقول الشاعر مرة أخرى .. حين يدعو للثورة على مفاهيم الصوفية بمعنى من معانيها :

تخمـــري يادروب النـــار وانفجـــري
موجـا من الـــريح .. أو رعـــدا من الـــغضب

وأروع منه حين يجمع النقيضين «الطريقة» و «الحقيقة» ويجلدهما جلدة غمارية .. فتطير اللحى في السماء ويبقى القطار سائرا والأطفال يغنون : رجعي .. رجعي .. رجعي .. ألا ترجع يا قطار لتسمع :

باسم «الطريقـــة» كم تبـــاع شريعتـــي
باسم «الحقيقـــة»حقنـــا أسلاب
والجـوع في لغـــة الـــلصوص شريعـــة
والله في شفـــة الخضور غيـــاب

وانزوى غبار اللحى المتناثر في الهواء .. عن قمة من قمم الفكر الاسلامي «أبو الأعلى المودودي» ..

«وأنت رغم الغياب المر .. الف غد .. اذا تسكع صوفي وسمسار» وأبو الأعلى معروف بجهاده وكفاحه الاسلامي ..

فهل يعلم الذين يجهلون ولا يعلمون أبدا .. ويتهمون الغماري .. بالعشوائية والهروبية والرجعية .. والخلط والخبط والصحو والمحو .. أن الغماري إذا كان صوفيا فهو من طراز (س) «مودرن» .. !!

والقطـــار لا يعـــود .. عار انتبـــه الرقـــود !!

يقول الأستاذ محمد صبحي في كتابه : ضد الواقعية ، ص : 15 ...

«ان من واجب أية مدرسة نقدية أن تحاكم النتاج الأدبي القريب والبعيد من خلال منظوراتها الايديولوجية كشكل ومضمون .. فتغربله وتستبقي منه ما تراه صالحا يستحق البقاء والافادة منه .. أما الغاء انتاج أديب بأكمله دون تمحيص ولا تدقيق فليس ذلك موقفا نقديا ولا فكريا ـــ انه الغاء للأديب نفسه ـــ تصفية من نوع (ما) .. وكل ذلك لا يدل على تبصر بل يدل على الجهل والجهالة .. الجاهل وحده يلغي معاصريه ويلغي التراث ويعتبر نفسه بداية .. أما الثوري فهو عالم بكل ما للعلم من معنى المحافظة على حركة الفكر الحر ..» .



شاعر الجهاد الاسلامي

قلنا في اجمال حديثنا عن الصوفية لدى الغماري .. أنه ليس صوفيا .. لأن الصوفية قبل كل شيء مسألة عالم فكري وشعري متكامل ان كان صاحبها شاعرا .. وجانب عملي .. يظهر في السلوك والأعمال .. وليس مجرد انتماء كلامي ..

والغماري ليس صوفيا شعرا وفكرا وعملا .. وانما هو رجل ثائر رافض لقيم عصره .. والتي لا تجري على وفاق مع ضميره ومنطلقاته الفكرية .. ومن هنا كانت ثورة الغماري مواجهة حادة وعنيفة ..

مواجهة مجابهة .. يلوذ فيها بحرم العقيدة الاسلامية الشامخ .. فهو مجاهد لائذ بعصمة الله ، مستجير بدينه الحنيف .. لأنه يجد في هذا الملاذ متسعا لروحه الرافضة وفكره المحاصر .. فمنه يستمد قوته وعزمه .. ومنه يفجر ثورة الجهاد الاسلامي الحازمة .. ليكون له عونا في محنته وسندا قويا في مواجهته .. ولابد لكل ثائر من قاعدة يرتكز عليها .. ولابد لكل ثائر من منهل ينهل منه أسباب القوة والعزم وعوامل النجاح .. وأهمها التعبئة الروحية والفكرية ..

ومن هنا كان الغماري يقف على جبل العقيدة الأشم .. ليضرب في عمق الصراع النضالي .. ولم يكن يقف على هذا العلم الشامخ .. لينصرف بوعيه وعقله ووجدانه الى عوالم سرابية قحطة .. ولم يكن يستمد

قوة الروح والعقل والالهام من هذا المنهل العظيم الوطيد .. ليعبث كما يعبث دراويش الطرقية .. أو ليركض كما يركض أصحاب «الحقيقة» و «الجوع» .. وانما لاذ بعصمة ذلك الحرم الشريف .. ليسدد ضرباته القاتلة الى «أزلام نجبهة الضلال» .. فيفضحهم شر فضح .. ويعريهم من كل ستار وقناع .. ويحرق لحاهم في وضح النهار ..

لم يكن الغماري من أهل الطرقية ولا من أصحاب العلمانية .. وانما كان مسلما مجاهدا .. ذا نزعة اسلامية متبصرة .. نزعة الى الطهر والنقاء .. هذه النزعة الطاهرة هي التي دفعت به الى الجنوح الجامع الطاهر الثائر .. على كل المفاسد والرذائل .. وهو في ذلك الموقف الجسيم مطمئن الروح .. مرتاح الوجدان .. الى جانب ذلك الملاذ الروحي الكريم العظيم ..

فظن أقوام أنه يستنطق الأرواح .. وظن أقوام أنه يهيم في حقول سرابية لا نهاية لها .. وانه يناجي ليلى ويخلو بها .. وتسر له ويسر لها ...

تحامل وأي تحامل .. وظلم وأي ظلم .. أن يتهم الحي بين الأحياء !!

وجاء هذا التحامل المغلوط المخلوط .. على الشاعر لسببين :

ــ السبب الأول : عدم التمحيص والتتبع لحقائق نفسه .. واستنباط كوامنها .. وبالتالي فهم مرامي شعره التي يوحي اليها أو يقولها ..

السبب الثاني : جناية قصدها ذوو «النيات الحسنة» !! فأرادوا طمس معالم الشاعر وتمويه أشعاره .. ومن ثمة ضربه بالتي هي أقرب .. ليخلو لهم المجال من شاعر يعلمون آثار سوطه على جلودهم البهيمية .. لاتمحى ولا تزول .

أما ولولا تلك الجناية النكراء .. على شاعر الاسلام الرائد .. ولولا ذلك التحامل المغرض .. لكان الغماري «شاعر الجهاد الاسلامي الرافض والرائد» ...

شاعر الجهاد الاسلامي .. بقوله وفعله وانتمائه ، فلو أردت أن تشمل انتاجه وتجمله .. لما كان أكثر من أنه دفاع وهجوم .. دفاع عن الاسلام وهجوم على أعدائه .. وما بقي بين هذين الموقفين الشامخين .. قيم فكرية وشعرية وجمالية .. فهو بهذا شاعر الاسلام .. الذي لا يقف في وجهه ند .. ـ على الأقل في وقتنا الحاضر ـ ..

وهو شاعر الجهاد .. لأنه دائب الثورة .. دائب الكفاح .. لا يهدأ ولا يستريح .. وتكفي عريضة انتاجه دليلا على ذلك ..

وهو شاعر الرفض الاسلامي .. لأنه يرفض كل لصيقة بالاسلام .. رافض لكل سياسة كيفما كانت .. غير سياسة الاسلام .. فهو شاعر رافض لكل مايرفض الاسلام .. وهو بلا تردد ولا تحرج ولا حساب يطول أو يقصر «شاعر الجهاد الاسلامي» ..

أما ولولا تلك المهاترات الصبيانية .. وتلك الجنايات الحاقدة .. وذلك الجدل العقيم .. لرجعنا الى شعر الشاعر وحاسبناه بما قال .. ولما تعديناه قيد نملة أو شعرة ..

ونحن لو رجعنا الى شعره .. لما وجدناه أكثر من مجاهد اسلامي ثائر .. وليس هذا «بفبركتنا» على طراز «التكنيك» الجديد في النقد «التصنيفي» .. بمحاكمة المضمون الفني .. محاكمة سياسة .. وتصفية الانتاج الأدبي تصفية «ما» ..

فالشاعر الذي يقول :

هي الغربـــة في أوطـــانها ... وأنـــا
أنـــا القتيـــل فمـــا خوفي من الـــنشب
لملـــمت حزمـــة أشعـــاري .. وقـــلت لها
ثوري على الـدرب .. بثـــي النـــار في الحطب

إنما هو يعني بقوله «هي الغربة في أوطانها» «العقيدة الاسلامية» .. فبالرغم من وجودها بين أهلها .. فهي غريبة لأنهم لا

يطبقونها ولا يعملون بها .. والشاعر لأنه شاعرها فهو قتيل .. اذ لا وجود له الا بوجودها .. ومن هنا «كانت غربة الشاعر والعقيدة» .. ومن هذا أيضا حدد الشاعر موقفه .

لملمت حزمة أشعاري .. وقلت لها
ثوري على الدرب .. بثي النار في الحطب

فهو شاعر يواجهنا برفضه الصريح الواضح المباشر وهو لا يسلك في ذلك سبيل «الأغاني السود» و «الخطب» :

سيولد الحرف .. كم أهواه مؤتلقا
في الرفض .. لا في الأغاني السود .. والخطب

فثورته إنما هي ثورة على الواقع .. لتثبيت أقدام «آت أخضر» .. والشاعر لأجل هذا يثور على الواقع ، ويفضل أن يموت في «دروب الرفض» .. على أن يحيا حياة لا يرضاها .. واستمع اليه وهو ينشد في ضيق وحزن :

... آه ما أغبى زمانا أنا في جفنيه عبره
تتملى في زوايا الزمن الغاصب زهره
أبحرت عبر المدى المجنون إقداما وثوره
كم يواري الزمن الكافر .. ياحسناء .. كفره
أن يكن موتي في الرفض .. فما أروع مره

فالشاعر إنما يفجر ثورته على الواقع .. في هذه الغربة الجهادية ، وهذا الرفض الاسلامي الثائر :

شرف العقيدة ثورة
خضراء تحرسها الزنود
شرف العقيدة فارس
في جرحه انتفضت عهود

شرف العقيــــدة ساعــــد
للفجـــر وثبتـــه ... شديـــد
ديــــن المحبـــة لا تقـــام
على الكــــــلام له الحدود
واكثر من ذلك جلاء ووضوحـــا ...
أنـــا هنـــا ... جرح ... يمو
ج وثـــورة حبلى ... ونـــار تمور
غضب الجيـــل ثورة تتحـــدى
لا دلال كمـــا تـــدل الحســـان
غضب الجيـــل رفض في ملامحنـــا
السمـــراء تهوى صليلـــه الآذان
الـــرفض ... انـــا يا دروب حدوده
اصراره ... أبعـــاده السمـــراء
قسمـــا بقـرآن الهوى .. يا أمتـــي
أنـــا على الـــدرب الطويـــل دمـــاء

وهذا الرفض وهذا الجهاد .. انما يقوم أساسا على تلك المفارقة بين الشاعر وحاضره المرفوض .. والشاعر لا يخفيها .. فهو الواثق الصريح دوما :

باسم التقـــدم يا أوثـــان فانتحـــري
إنا كفرنا بديـــن العصر .. دسنـــاه
ديـــن التقـــدم ازلام محنطـــة
كما يشاؤون .... انـــا خبرنـــاه

والرفض الغماري يأخذ دوما اتجاها واحدا .. فهو «رفض انتمائي» .. اذ هو رفض من أجل العقيدة الاسلامية رفض لكل حاضر لا يقوم على أساس الاسلام .. رفض لكل آت لا يقوم على الاسلام ..

ويلحق بهذا الرفض الانتمائي .. الدفاع عن ماضي التاريخ الاسلامي المجيد التليد .. اذ هو المثل الأعلى للجهاد الاسلامي .. من حيث أنه قدوة حسنة .. وهكذا يتضح أن الشاعر لا يعيش في الماضي .. وانما هو ينطلق من الماضي .. من القدوة الصالحة ..للبعث الاسلامي ..

يا قــــاريء الضوء[1] السخــــــي
أما ترى في الـدرب حولك حاضرا موؤودا
تـنـدس عبر الـــدرب سود سهامـــه
وتـــروم في غير الوجـــود وجـــودا
أيبـــاع بالكـــم الرخـيص حضورنـــا
ونسام في سوق الزنـــاة عبيـــدا
ويـــداس تاريخ ... وتمسخ أمـــة
رفت ... فمـــاجت عالما ممدودا
طلـــعت بهذا الكـــون سمر سواعـــد
للنـــور تحمـــل آية وبنـــودا

والرفض لدى الغماري .. ليس مجرد مجابهة التيار .. وانما هو :

رفض هو الحرف .. يا تاريخ أمتنــــــا
توحـــدت فيـــه أقطـــار وأقطـــار
هو الجهـــاد على أشلاء حاضرنـــا
لا الليـــل يحجبـــة عنـــا .. ولا القـــار
أبعـــاده الخضر في أيامنـــا أفـــق
يمتـد فيـــه «أبـــو ذر» و «عمـــار»

والذي يعرف من هو «أبو ذر» و «عمار» .. يعرف دون شك الرفض الذي عناه الغماري ..

---

(1) الضوء السخي : القرآن الكريم .

وبصورة أوضح :

الـــرفض .. لا رفض الا النـــار يا وطنـــي
ليـــورق الجمـــر في أعيـــادك الـــقشب

وليس هو البكاء والعويل :

لغـــة البكـــاء هجينـــة .. يا أمتـــي
كوني شواظ الـــــعصر يا أحساب
وتنـــزلي كالصاعقـــات على الألى
باعـــوا «الصعيـــد» وكم تهون رقـــاب

ولو حاولنا الرجوع قليلا الى الوراء .. لوجدنا الشاعر ، ثائرا على كل الانتماءات .. رافضا لكل المذاهب على اختلافها وتعددها .. ويدعو الى الاسلام .. صراحة ..

أحـــارب في دينـــي وفكـــري ومذهبـــي
وأرمـــى بزور القـــول في كل مشعب
يعانقنـــي عزم الألي صنعـــوا الـــعلى
فأهتـــف بالاسلام أقـــوم مذهب

والشاعر يتجرد للاسلام يدعو اليه .. لأنه يراه أقوم المذاهب كلها .. وبدونه تستحيل الحياة الكريمة :

حين يجفـــو الاسلام أهـــداب أرض
فمحـــال أن تمطـــر الأوطـــان

ولأننا بدون الاسلام نسير نحو الفناء والعدم :

حين تجفونـــا العقيـــدة
يرتـــوي منـــا العـــدم
ونناجـــي ألـــف درب
والهوى قيـــح ودم

فعزنا ومجدنا إنما هو الاسلام .. وبدونه لاشيء .. فلو رجعنا الى الاسلام واتبعناه .. لكنا كما قال :

لو رعينـا كلمـات الله كنـا أفقـا
لو رعينـا كلمـات الله كنـا حدقـا

والشاعر وهو يتحمس للدعوة الاسلامية .. وهو يمجد المآثر الخالدة للأمة الاسلامية .. لا يقيم وزنا لكل المذاهب . كما يرفض كل الرفض أية دعوة تقوم على العصبية أو العرقية فالعز إنما هو كلمات الله «القرآن» «الاسلام» .. وليس في غيره :

أشواقنـا من كروم الفجـر مترعـة
وعزنـا كلمـات الله .... لا الـنسب

ولا يعترف بالحدود المادية .. فليس هناك ما يفصل بين المسلم والمسلم ....

الليـل دوى في المسامـع والحنـا
يا ... آه ما أقسى الظـلام حدودا

ولا يفرق في هذا الوطن الكبير بين «أوراس» أو «لاهور» :

أوراس أو «لاهـور» كل موطنـي
رامت هواه شهيـدة وشهيـدا

وهذا الشعب المسلم العظيم .. الممتد على طول الوطن الاسلامي الكبير .. لن يبيد أو يتشتت بفعل هذه الحدود .. ولكنه يظل مثل النخيل صبرا واحتسابا .. لأنه متمسك بعقيدة الاسلام :

شعبـي وان شعت الحدود لذبحه
سيظـل يحيا كالنخيـل صمـودا
سيظـل مثـلك ياجبـال مرددا
«الله أكبر» مبدئـا ومعيـدا

وهذا الاتحاد القوي .. وهذا التمسك الشديد بحبل العقيدة المتين .. إنما هو كذلك لأن العقيدة الاسلامية لا تقوم على العرق والأصل ، ولا ترتبط بما هو زائل ..

مدى العقيدة .. لا جوع ولا نسب
هو الطريق .. وحرف الله لا الزار

هذا الشعب العظيم المترامي عبر هذه الربوع الواسعة في الوطن الاسلامي الكبير .. إنما تجمعه عقيدة واحدة فاذا مست هذه العقيدة .. فإنه يستحيل براكين متفجرة في وجه أعدائه .. وهذا شرط الوحدة الشعبية الحقيقية .. اتحاد في العقيدة وتفان في الدفاع عنها .

«اذا عقيدتنا ديست كرامتها سنستحيل على الطاغين بركانا»

فالثورة الحقيقية والجهاد الحق .. إنما هو ماكان في سبيل الله .. وفي سبيل الدفاع عن دينه ...

ما السيـــف إن لم تكـــن لله غضبتـــه
كم الهم السيـــــف ما جادت به الصور

وهكذا يتجلى على طول البعد الفكري .. الرفض الانتمائي .. وبهذا يتضح جليا أن مصطفى الغماري انما هو شاعر الاسلام المجاهد عن العقيدة الاسلامية .. دائب الهجوم على أعدائها والدفاع عنها .. وقد جنح الى حرم العقيدة المقدس ــ حين اشتد به الأمر ــ يستمد روح القوة والعزم للجهاد والصمود أمام تلك الجبهة العريضة من محاربيه .. وبالتالي كان الغماري صاحب موقف ثابت ورؤية فكرية متفردة رائدة .

خلاصة رابعة

البعد الفكري :

إذا أردنا أن نجمل مواقف الغماري الفكرية .. فإنها تتضح على الأسس التالي :

1) محارب للفكر المادي ثائر عليه .. رافض له كل الرفض .. فهو يعده مجرد نظام مادي اقتصادي .. لا يبني حضارة انسانية .. لأنه يسقط البعد الروحي تماما ، كما أنه خطر على الاسلام .. لأنه ينطوي على بذور الحقد والعداوة له ..

2) ثائر على الأنظمة العربية الرجعية .. رافض لفكرة القومية العرقية .. كما يعد هذه الرجعية العربية سببا أساسيا ومباشرا في ضعف الاسلام والمسلمين من جهة .. وضياع مقدسات الأمة الاسلامية ، من جهة ثانية ...

3) يرفض بل ويحارب كل إنتماء فكري سياسي يتعارض وبعده الفكري الاسلامي .. في كل شبر من الوطن الاسلامي الكبير ...

4) الغماري شاعر الرفض والجهاد الاسلامي .. فهو رافض لكل مذهب ديني أو فكري .. غير العقيدة الاسلامية .. مهاجم لكل من يحاول مس الاسلام أو الاعتراض على طريقه .. مدافع عن قيمه الأصيلة .. داعيا الى بناء أمة اسلامية واحدة ..

خلاصة الخلاصات

ـ البعد الفني والفكري لشاعر الجهاد الاسلامي ...

خلصنا في دراستنا الفنية للشاعر مصطفى الغماري .. الى أنه صاحب رؤية شعرية خاصة .. تميزت بأسلوبها وطريقتها الفنية المتفردة .. كما تميزت بالصدق النفسي والفني .. مما جعل الموقف الشعري لديه .. موقفا تتحد فيه الذات بالموضوع في اخلاص وصدق تامين ...

ومن ثمة تجاوز بلغته الشعرية المشرقة «الضوئية» .. ورؤيته الشعرية المتميزة .. الطابع التقليدي العتيق للقصيدة الخليلية .. الى الصورة الشعرية الواعية الهادفة .. وبهذا وبمامر معنا .. كان الغماري يسير في طريقه الى عالم فني شعري خاص .. بل بداية مدرسة شعرية ريادية «غمارية» لشعر السبعينات ...

أما على صعيد البعد الفكري .. فقد توصلنا أخيرا ـــ كما شاهدت معنا ـــ الى أن البعد الفكري للشاعر قد اتسم بالوضوح التام .. فكان واضح الموقف من الفكر المادي .. والقومية الضيقة ، ثم من المذاهب الفكرية والسياسية الأخرى .. وكيف أنه اختار أن يكون رافضا ثائرا مجاهدا .. الى جانب الاسلام .. يدعو اليه ويدافع عنه .. وبهذا ـــ كما وضحنا سابقا ـــ استحق عندنا أن يكون «شاعر الجهاد الاسلامي» .. وبهذا أيضا يكون قد سلك سبيلا آخر .. غير طريق الاصلاح الديني في طريقه الى الاسلام ..

المراجع

محمد العيد علي آل الخليفة

رائد الشعر الجزائري الحديث .... الدكتور أبو القاسم سعد الله

في النقد الأدبي الحديث.................. الدكتور محمد غنيمي هلال

النقد الأدبي ـــ أصوله ومناهجه.................سيد قطب

خلاصة اليومية .عباس العقاد

التفكير فريضة اسلامية..........................عباس العقاد

ضد الواقعية....................................محمد صبحي

دواوين الشاعر .....

أسرار الغربة.................... مصطفى محمد الغماري

نقش على ذاكرة الزمن.....................مصطفى محمد الغماري

أغنيات الورد والنار..........................مصطفى محمد الغماري

خضراء تشرق من طهران.....................مصطفى محمد الغماري

قصائد مجاهدة .... مصطفى محمد الغماري

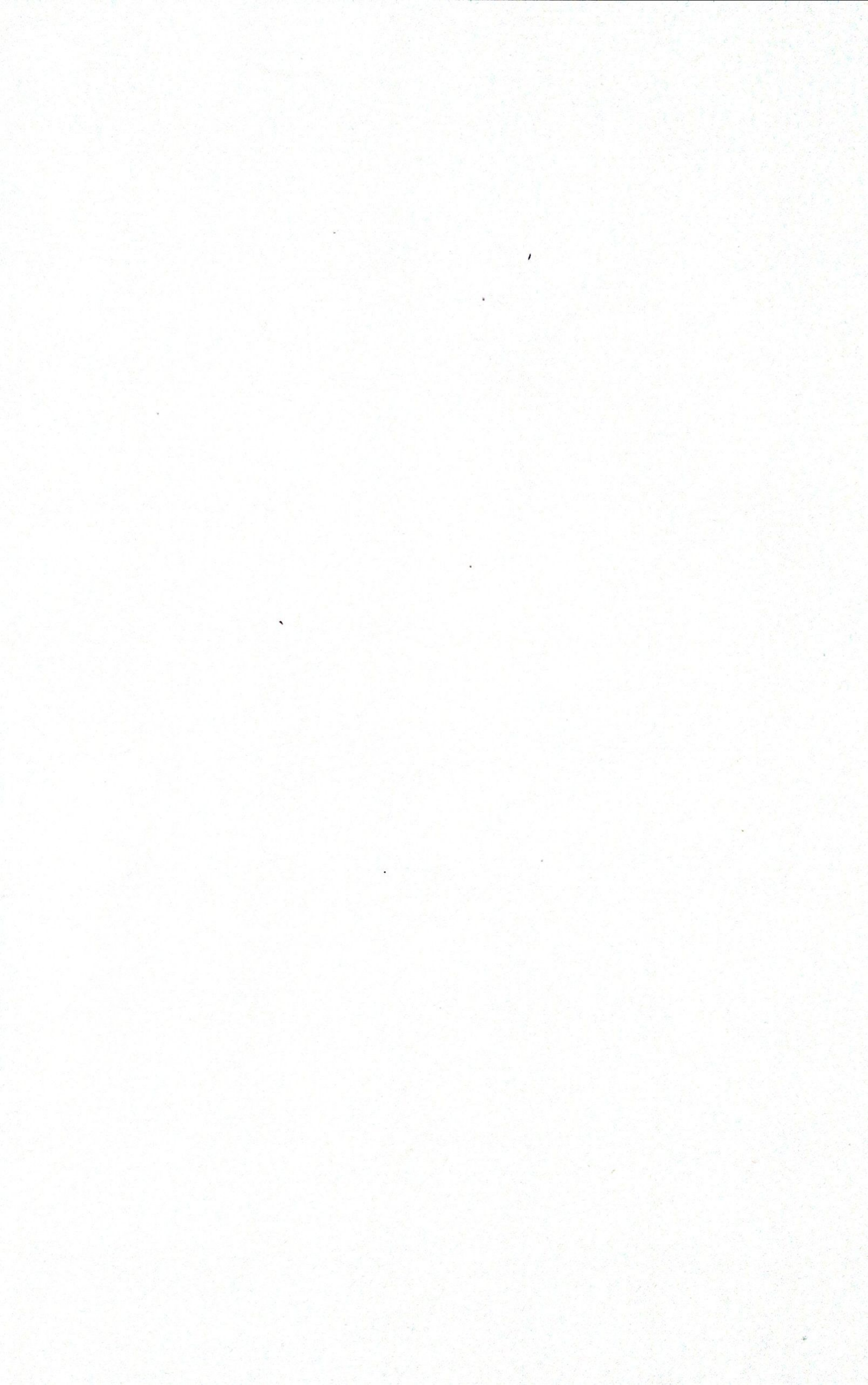
لن يقتلوك .... مصطفى محمد الغماري

محتويات الكتاب

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية 1983







يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن الشاعر محمد مصطفى الغماري ، وهو من شعراء الشباب المرموقين في الجزائر ومكانة الغماري هنا لا تنحصر في معاصرته ، فكم من معاصر بعيد عن عصره فنيا ، وكم من بعيد عن عصرنا معاصر لنا في فنه ، ومكانة ــ الغماري ــ أيضا ــ لا تتحدد بمواهبه الذاتية في مجال الشعر ، ولا تكاد تقف عند حدود الالتزام . بحاجات المجتمع المتطور ، ولا عند كونه من كوكبة الشعراء الهادفين بالفن ،،، وانما لسمة خطيرة تجمع هذه السمات كلها في بوتقة واحدة هي «الأصالة» .